دِقَّــةُ السِّيــاقِ القرآنــي

دراسة دلالية مقارنة بين آيات من سورة البقرة وآيات من سورة الأعراف

الباحــث:

دكتــور/ فايز عبد الله سلمان الذنيبات

الأستاذ المساعد في الأدب والنقد / جامعة جازان

المملكة العربية السعودية

١٤٣١هـ /٢٠١٠م

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة:

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا، ثم الحمد لله الذي جعل كتابه المبين موردا لا يرتوي منه ظامئ، ولا يهنأ ببلوغ ذرة اختلاف فيه شانئ، ولا تنتهي الأقلام عن تصريف عوالمه الزاهرة، ولا تمل الأفهام من الغوص في بحاره الزاخرة، ثم الصلاة على أشرف الخلق سيدنا محمد صاحب الشفاعة، وعلى آله وصحبه البررة الأطهار ومن سار على نهجه واتبع سنته إلى يوم الساعة. ثم الفضل لله أن هداني لأسلك هذا الطريق الذي سلكه قبلي الجهابذة الصالحون، والأئمة المهتدون، مع أن قامتي لا تطاول ركبهم، وهمتي لا تبلغ معشار هممهم، ومبلغي من العلم لا يعدل حفنةً أمام كثبانهم، وراحلتي تعرج في سباق ميدانهم، فجزاهم الله خيرا على عنايتهم بالقرآن الكريم، وجعل لنا شرف الخطو على آثارهم في هذا الطريق المستقيم.

أما بعد فتتناول هذه الدراسة المقارنة الدلالية بين القصص المتكررة في القرآن، حيث وقفت عند موضعين من القرآن تكررت فيهما قصص بني إسرائيل، والموضعان هما في سورة البقرة وسورة الأعراف، ويتحدثان عن قصة دخول بني إسرائيل للقرية وقصة استسقاء موسى لقومه، وقد تكررت هاتان القصتان في السورتين مع وجود اختلافات وفوارق كثيرة، ولكل اختلاف نكتة دلالية يرتكز عليها، ومعنى جديد يُكشف للمتأمل، ولم يكن التكرار يوما في القرآن بلا معنى جديد، وهذا رأي رفع رايته كثير من أهل العلم. وستحاول

هذه الدراسة الوقوف عن الفروق اللغوية التي وقعت بين النصين ومحاولة تفسيرها ومعرفة آراء العلماء فيها.

وتكمن مشكلة الدراسة في أن الكثير من المفسرين لم يعطوا مثل هذه المواضع اهتماما بالغا ولم يشبعوا المتلقي في التفسير الدقيق للاختلاف الواقع بين القصيتين في السورتين المتقدمتين، مع أنهم خاضوا في كثير من الفروق وحاولوا تفنيد الاختلاف الذي وقع بين القصتين، لكن ربما احتاج الموضوع إلى عمق أكثر ونظر أطول. وقد وجدت في كثير من الأحيان أن آراءهم تتشابه، لذلك سنحاول في هذه الدراسة الإجابة عن كثير من الغموض الذي أحاط بالقصتين في الموضعين المتكررين، كما سنحاول الوقوف على مواضع الفروق والاختلاف وحصرها، ثم تفنيد هذه الفروق من خلال الاستئناس بآراء المفسرين تارةً وتارةً وفق رأي جديد نرجو من الله أن يكون صائبا. وقد وقفت على رأي العلامة الشيخ ابن عاشور في هذا الجانب فوجدته يلتفت إلى آراء المفسرين بقوله:" ولعلم المخاطبين بما عنته هذه الآية اختصر فيها الكلام اختصارا ترك كثيرا من المفسرين فيها حيارى. فسلكوا طرائق في انتزاع تفصيل المعنى من مجملها فما أتوا على شيء مقنع، وكنت تجد أقوالهم هنا إذا التأم بعضها بنظم الآية لا يلتئم بعضه الآخر، وربما خالف جميعها ما وقع في آيات أخر"[1]. مع أن هذه الدراسة تنحو منحى مختلفا عن ابن عاشور؛ فهي لا تركز على حيثية

---

1 – ابن عاشور – تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤، ج٢– ٢٩٤

الحدث ومكانه وملابساته، بل تصب اهتمامها على الفروق اللغوية والفوائد البلاغية والدلالية من خلال النظر في سياق السورتين. أما منهج الدراسة فيقوم على ركيزتين هامتين: أولهما الفوائد الدلالية الناتجة عن الفروق اللغوية، وثانيهما: السياق الخاص بالسورتين موضع الدراسة؛ فبالسياق تتضح كثير من الأمور ويتضح سبب اختيار لفظة على أخرى، وتعبير على آخر، ويتضح سبب التقديم والتأخير والذكر والحذف ومعاني الألفاظ المشتركة.

والسياق من أهم القرائن التي تدل على المعنى، فدلالة السياق ترشد إلى تبيين المجمل والقطع بعدم احتمال غير المراد، وتخصيص العام وتقييد المطلق وتنوع الدلالة، وهو من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم. وليس في القرآن قصة وردت في موضعين تناقض إحداها الأخرى. فإن قصة موسى مثلا على كثرة ترددها واختلافها في التعبير وفي ذكر جزئياتها لا يختلف بعضها عن بعض، ولا يناقض بعضها بعضا، وكذلك قصة إبراهيم وغيرها الكثير. ولكن قد يذكر جانب من القصة في موطن بحسب السياق الذي ترد فيه والغرض الذي يراد منها، ويذكر جانب آخر في موطن آخر بحسب ما يراد من الغرض وموطن العبرة، وهذا من بديهيات الأمور.

أولا- حدود الدراسة:

تتناول هذه الدراسة نصين محددين من سورة البقرة وسور الأعراف، حيث يقول تعالى في سورة البقرة :

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ* ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ* وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُواْ من طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُواْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ* وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُواْ هَـذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَداً وَادْخُلُواْ الْبَابَ سُجَّداً وَقُولُواْ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ * فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزاً مِّنَ السَّمَاء بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ* وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ كُلُواْ وَاشْرَبُواْ مِن رِّزْقِ اللّهِ وَلاَ تَعْثَوْاْ فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾[٢].

أما آيات سورة الأعراف فتسرد علينا الأحداث عينها ولكن بوجود فوارق عديدة. وآيات سورة الأعراف تبدأ بقوله تعالى:

﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ*وَقَطَّعْنَاهُمُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطاً أُمَماً وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُواْ مِن

---

2 – سورة البقرة – الآيات من ٥٧- ٦٢

طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَـكِن كَانُواْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ* وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُواْ هَـذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُواْ حِطَّةٌ وَادْخُلُواْ الْبَابَ سُجَّداً نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَاتِكُمْ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴾[٣].

والمتأمل في آيات البقرة وآيات الأعراف يلاحظ كثيرا من الفروق في القصتين مع أنهما تصفان الحادثة نفسها؛ فسورة البقرة تبيّن لنا أن الخير كثير، والمغفرة واسعة، والماء متفجر، والعيش رغد. أما سورة الأعراف -وهي تقص علينا القصة نفسها- تبيّن لنا أن الخير قليل والماء شحيح (منبجس) والمغفرة قليلة. فأي القصتين وقعت حقيقةً، وهل هما قصتان منفصلتان؟ ولماذا ورد في موضع ادخلوا وفي الآخر اسكنوا؟ ولماذا وردت في موضع كلمة انفجرت وفي الآخر انبجست؟ وهناك كثير من الاختلافات سنأتي عليها.

وعند النظر في كتب التفسير للوقوف على هذا الاختلاف نجد معظم المفسرين عللوا ذلك باختلاف المقام؛ ففي سورة البقرة المطلوب الله والطالب موسى عليه السلام (وإذا استسقى موسى لقومه) أما في الأعراف فالطالب بنو إسرائيل والمطلوب موسى (وأوحينا إلى موسى إذ استسقاه قومه)، فنناسب التكثير مقام الأولى ولم يناسب مقام الثانية. وهذا التفسير لا يكشف القناع الكامل عن الحقيقة. فأي من الحالين وقع هل التكثير أم التقليل؟ ولماذا ورد مرة بالتكثير ومرة بالتقليل[٤] ؟

---

3 - سورة الأعراف الآيات: ١٦٠-١٦٢

4- انظر المقابلة بين النصين في كتاب : أسرار البيان في التعبير القرآني، د. فاضل السامرائي، مطابع جامعة الموصل، ١٩٨٩ ص:٢٨٦

ويمكن تلخيص مواقف المفسرين من هذه الآيات المتشابهات وتقسيمها إلى ستة أقسام كما يلي:

١- قسم من المفسرين أهمل الفروق بين الموضعين، وصبّ اهتمامه على حيثيات القصة من خلال الإسرائيليات، فأخذ يورد أقوالا في الحجر الذي انبجس منه الماء وأنه كان حجرا (طورانيا) أي من جبل الطور، والبعض قال من أحجار الجنة، واختلفوا في حجمه فهو عند الكثيرين ذراع في ذراع، والبعض يقول إنه بحجم رأس الشاة، يحملونه معهم.(٥)

٢- وقسم من المفسرين اعتبر أن لا اختلاف بين الموضعين، وأن الأمر لا يعدو عن كونه تنوّعا في الألفاظ التي تؤدي دلالةً واحدةً، ولم يلتفوا إلا إلى الفرق بين (انفجر وانبجس) فالبعض اعتبرهما شيئا واحدا(٦). والبعض الآخر اعتبر أن الانفجار تالٍ للانبجاس،

---

5 - انظر فتح القدير ، الإمام الشوكاني، دار الفكر - بيروت، ج١-ص:٩١، وكذلك مجاهد المخزومي، تفسير مجاهد، تحقيق : عبدا لرحمن الطاهر محمد السورتي المنشورات العلمية - بيروت، ج١-ص:٧٦ ، وكذلك انظ على سبيل المثال : مقاتل بن سليمان، تفسير مقاتل، تحقيق : أحمد فريد، دار الكتب العلمية - بيروت،ط١، ٢٠٠٣، ج١-ص:٥٢، وانظر ابن كثير القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم،تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٩٩٩ ، ج١-ص٩٨ وج١-ص:٢٧١ ، ،وانظر البقاعي نظم الدر،ج١-ص: ١٧٥

6 - انظر على سبيل المثال عبد الرحمن الثعالبي، تفسير الثعالبي الموسوم بجواهر الحسان، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت،ج١-ص٧٠

حيث يكون خروج الماء في البداية على هيئة انبجاس، ثم تحول إلى انفجار فيما بعد، والانفجار أقوى.[٧]

٣- وقسم من المفسرين اعتبر أن آيات البقرة فيها تكثير عام؛ لأن الطالب موسى، والمطلوب منه الله ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ﴾، أما آيات الأعراف ففيها تقليل؛ لأن الطالب بنو إسرائيل والمطلوب منه موسى﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ﴾. وقد فسّروا ذلك باختلاف مقام المخاطب؛ فتكثير النعم مناسب لمقام الله حين يكون مطلوبا ونبيه موسى طالبا. وقد فات هؤلاء المفسرين ملاحظة مهمة وسؤال مهم هو: أي الأمرين وقع، هل هو التقليل أم التكثير، ولماذا؟ فإن كان أحدهما وقع فقط فثمة مشكلة؛ لأن النص الثاني لا جدوى منه أو فيه خطأ - تعالى الله عن ذلك.

٤- قسم من المفسرين حاول تفنيد بعض الفروق اللغوية والتقديم والتأخير دون أن يقدم لنا إجابةً شافيةً فيهما[٨].

7- انظر تفسير ابن أبى حاتم ــ الإمام الحافظ أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي ت ٣٢٧ هـ. دار النشر : المكتبة العصرية - صيدا ،تحقيق : أسعد محمد الطيب، ج١-ص١٢١، وانظر تفسير القرآن العزيز، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي زمنين،٣٩٩هـ، تحقيق أبو عبد الله حسين بن عكاشة - محمد بن مصطفى الكنز، الناشر الفاروق الحديثة، القاهرة، ٢٠٠٢م، ج١- ص:١٤١، وانظر تفسير البيضاوي- البيضاوي، دار الفكر - بيروت ج٣-

- ص٦٦،وانظر: محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن(تفسير الطبري) تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة،ط١، ٢٠٠٠ م، ج٢-ص:٩٧ .

٥- قسم من المفسرين رأى أن الفرق بين الموضعين يكمن في أن سياق سورة البقرة سياق تكريم؛ لذلك وجب ذكر النعمة، في حين أن سياق الأعراف سياق تقريع لذلك وجب ذكر العقاب وتقليل النعمة [٩].

على أن أشفى الآراء التي تناولت القصة ووقفت عند تفاصيلها ورجّحت بعض القضايا فيها نجدها في تفسير ابن عاشور - حسب تقديري- إذ كان له توجيه في تفاصيل الحدث وما جرى في القصة، ولا أجد مندوحة من إيراد رأيه -وإن كان طويلا- حيث يقول: " والذي عندي من القول في تفسير هذه الآية أنها أشارت إلى قصة معلومة تضمنتها كتبهم وهي: أن بني إسرائيل لما طوحت بهم الرحلة إلى برية (فاران) نزلوا بمدينة (قادش)، فأصبحوا على حدود أرض كنعان الأرض المقدسة التي وعدها الله بني إسرائيل، وذلك في أثناء السنة الثانية بعد خروجهم من مصر، فأرسل موسى اثني عشر رجلا

---

8 - شهاب الدين الآلوسي ، روح المعاني، دار إحياء التراث العربي،(د .ت) (د. ط) ج٩-ص٨٨

9- انظر محمد بن محمد العمادي أبو السعود، تفسير أبي السعود، دار إحياء التراث العربي - بيروت ج١-ص: ١٠٥-١٠٦ و ج٣- ص٢٨٣ -٢٨٤. وانظر نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، لـ برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي، تحقيق : عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٥-١٩٩٥ م، ج١- ص: ١٤٧-١٤٩، وانظر السيوطي ، الإتقان، تحقيق: فواز زمرلي، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع، ط١ ج٢-ص٣٠٦،

ليتجسسوا أرض كنعان؛ من كل سبط رجل وفيهم (يوشع بن نون) و(كالب بن بفنة)، فصعدوا وأتوا إلى مدينة (حبرون) فوجدوا الأرض ذات خيرات، وقطعوا من عنبها ورمانها وتينها ورجعوا لقومهم بعد أربعين يوما، وأخبروا موسى وهارون وجميع بني إسرائيل، وأروهم ثمر الأرض، وأخبروهم أنها حقا تفيض لبنا وعسلا، غير أن أهلها ذوو عزة، ومدنها حصينة جدا، فأمر موسى (كالبا) فأنصت إسرائيل إلى موسى وقال إننا نصعد ونمتلكها وكذلك (يوشع) أما العشرة الآخرون فأشاعوا في بني إسرائيل مذمة الأرض وأنها تأكل سكانها، وأن سكانها جبابرة، فخافت بنو إسرائيل من سكان الأرض وجبنوا عن القتال فقام فيهم (يوشع) و(كالب) قائلين: لا تخافوا من العدو فإنهم لقمة لنا والله معنا، فلم يصغ القوم لهم وأوحى الله لموسى أن بني إسرائيل أساءوا الظن بربهم وأنه مهلكهم فاستشفع لهم موسى فعفا الله عنهم، ولكنه حرمهم من الدخول إلى الأرض المقدسة أربعين سنة يتيهون فلا يدخل لها أحد من الحاضرين يومئذ إلا (يوشع) و(كالب)، وأرسل الله على الجواسيس العشرة المثبطين وباءً أهلكهم. فهذه الآية تنطبق على هذه القصة تمام الانطباق، لا سيما إذا ضمت لها آية سورة المائدة ﴿يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم- إلى قوله الفاسقين – فقوله: ﴿ادخلوا هذه القرية﴾: الظاهر أنه أراد بها(حبرون) التي كانت قريبةً منهم، والتي ذهب إليها جواسيسهم وأتوا بثمارها، وقيل أراد من القرية الجهة كلها قاله القرطبي: عن عمرو بن شبة فإن القرية تطلق على المزرعة، لكن هذا يبعده قوله: وادخلوا الباب، يطلق على المدخل بين الجبلين، وكيفما كان ينتظم ذلك مع قوله: ﴿فكلوا منها حيث شئتم رغدا﴾

يشير إلى الثمار الكثيرة هناك. وقوله:﴿ فبدل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم﴾ يتعين أنه إشارة إلى ما أشاعه الجواسيس العشرة من مذمة الأرض وصعوبتها، وأنهم لم يقولوا مثل ما قال موسى حيث استنصت الشعب بلسان (يوشع) و(كالب) ويدل لذلك قوله تعالى في سورة الأعراف ﴿فبدل الذين ظلموا منهم قولا﴾ أي من الذين قيل لهم ادخلوا القرية، وأن الرجز الذي أصاب الذين ظلموا هو: الوباء الذي أصاب الجواسيس العشرة، وينتظم ذلك أيضا مع قوله في آية المائدة **﴿ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين قالوا يا موسى إن فيها قوما جبارين﴾**.. إلخ. وقوله ﴿قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما أدخلوا عليهم الباب﴾ فإن الباب يناسب القرية. وقوله:﴿ قال فإنها محرمة عليهم﴾ فهذا هو التفسير الصحيح المنطبق على التاريخ الصريح. فقوله:**﴿وإذ قلنا﴾** أي على لسان موسى، فبلغه للقوم بواسطة استنصات **(كالب)**، وهذا هو الذي يوافق ما في سورة المائدة في قوله تعالى ﴿يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم﴾. وعلى هذا الوجه فقوله: **(ادخلوا)** إما أمر مفعول بدخول قرية قريبة منهم وهي (حبرون)؛ لتكون مركزا أولا لهم، والأمر بالدخول أمر بما يتوقف الدخول عليه؛ أعني القتال كما دلت عليه آية المائدة إذ قال: ﴿ادخلوا الأرض المقدسة﴾ إلى قوله **﴿ولا ترتدوا ﴾**"[١٠].

---

[10] – ابن عاشور – تفسير التحرير والتنوير، ج٢– ص: ٢٩٤

ولعل ترجيح ابن عاشور لأحداث القصة فيه وجاهة ومنطق وتوافق مع النص القرآني والمرويات التاريخية، وبناء عليه فقد استفادت الدراسة من هذا التوجيه في بعض تعليلاتها. وقبل الشروع في تفنيد الفروق وتفصيلها ومعرفة مدلولاتها لا بد من الوقوف عند سياق السورتين؛ فجزء مهم من فهمنا للآيات موضوع الدراسة في السورتين مرتهن بفهمنا لسياق كل سورة على حده، لأن لكل سورة بنيةً عميقةً وسياقا ورؤيةً منهجيةً خاصةً بها.

ثانيا- سياق السورتين:

أ- سياق سورة البقرة:

من المعروف أن سورة البقرة من أول ما نزل على الرسول بعد الهجرة وظلت آياتها تتنزل بين حين وآخر، لذلك لو حاولنا الوقوف عند أسباب نزول السورة للزم الأمر أن نقف عند أسباب نزول كل آية أو مجموعة من الآيات على حده لأنها نزلت منجمةً حسب الحوادث، ومن هنا سنقف عند سياق السورة مستأنسين بآراء بعض العلماء مثل سيد قطب وغيره[١١].

ويمكن أن نسمي سورة البقرة باسم (سورة البدايات) فهي في بداية القرآن من حيث الترتيب، ثم هي تقص علينا بداية الخلق من خلق آدم، وبداية تنبؤ الملائكة، ثم بداية معصية إبليس في عدم الانصياع للأوامر والتكبّر، ثم بداية معصية آدم. ثم بداية أول بيت أنشئ للناس. وليس هذا

---

11 – ينظر في هذا المجال : الواحدي النيسابوري، أسباب نزول الآيات، ، سيد قطب ، في ظلال القرآن

هو المهم ولكن فكرة البداية مهمة في تفسير القصة كما جاءت في سورة البقرة، وسنقف عند مفهومنا للبداية في معرض هذه الدراسة.

والسياق العام لسورة البقرة ينقسم إلى قسمين واضحين: الأول منهما: تربوي والثاني تشريعي. فالسياق التربوي يمتد من الآية ١- ١٦٧ وفيه حثٌ كبير على إطاعة الأوامر، من خلال استعراض تجربة بني إسرائيل وتاريخهم الطويل في رفض الأوامر، ورفض التسليم بالغيب ورفض الاستجابة للأوامر، أو التلكؤ فيها ومعاندتها، والزيادة أو النقصان فيها، ويتجلى ذلك في قصة دخول القرية ﴿وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة﴾[١٢] فقد دخلوا الباب على هيئة غير السجود، وقالوا حنطة بدلا حطة، ثم قصة طالوت وجالوت حين طلبوا من نبي لهم أن يبعث لهم ملكا فحصل ذلك ولكنهم خالفوا أوامر الله في عدم الشرب، ثم في عدم القتال... وكثيرة هي هذه القصص التي تظهر لنا علاقة اليهود بربهم وعدم احترامهم أوامره. حتى أن سورة البقرة اختصت بهذا الاسم -حسب تقديري- لأن قصة اليهود مع البقرة هي خير نموذج أو مثال موضح لعدم إطاعة الأوامر ومناقشتها والتعنت فيها، فكانت هذه الحادثة بحق جديرةً بأن تحمل اسم السورة بكاملها؛ لما فيها من العبرة والدلالة والنهي الخفي عن سلوك الطريق نفسه الذي سلكه اليهود. ويمكن أن نقول إن سورة البقرة في دلالتها الكلية تدعو إلى التسليم المطلق بأوامر الله، وهذا التسليم يتضمن الإيمان بالغيب والرسل والملائكة، وقد بدأت سورة البقرة خطابها بهذا وقد انتهت أيضا به، قال تعالى: ﴿ الذين

---

12 - سورة البقرة: ٥٨

يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون* والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون﴾[١٣]. وبالخطاب نفسه تختم سورة البقرة ولكن مع إضافة عنصر السمع والطاعة: ﴿آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون...وقالوا سمعنا وأطعنا﴾[١٤] وكذلك في ذروة تعنيفها لليهود وفضحها لمعتقدهم الفاسد تأتينا الآيات: **﴿ وإذا أخذنا ميثاقكم...واسمعوا قالوا سمعنا وعصينا وأشربوا في قلوبهم العجل﴾**[١٥].

فالقسم الأول بكافة مدلولاته والأمثال والقصص التي وردت فيه – خصوصا قصص بني إسرائيل– يصب في بؤرة دلالية واحدة ألا وهي: تربية المسلمين على إطاعة الأوامر الإلهية، وعدم السير على خطا اليهود في كثرة السؤال والمناقشة والتلكؤ والرفض والتعنت، كما في **قوله تعالى:**

﴿أم تريدون أن تسألوا رسولكم كما سُئل موسى من قبل﴾[١٦].

أما القسم الثاني من سورة البقرة فهو قسم التشريع أو الأوامر؛ فبعد سلسلة تحذيرات من عصيان الأوامر –وما يقابل هذا العصيان من عقوبة– تأتي الأوامر الإلهية وتبدأ من القبلة ﴿فول وجهك﴾[١٧]، ثم تأتي على أهم الفرائض: الصلاة والصيام والحج والزكاة والنفقة والجهاد،

---

13 – سورة البقرة: ٢–٤

14 – سورة البقرة: ٢٨٥

15 - سورة البقرة: ٩٣

16– سورة البقرة: ١٠٨

17 –-سورة البقرة: ١٤٤

وتركز على القسم المالي والاقتصادي. ثم تختتم في التشديد على ضرورة إطاعة الأوامر التي تستوجب التسليم والإيمان بالله ورسله وملائكته وقدرته على معرفة ما في النفوس، وهو الأمر الذي كان ينكره اليهود والمنافقون ﴿وإن تبدو ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله﴾[١٨]. وهذا مجمل سياق البقرة الذي تتعاوره شريحتان مهمتان التربية على إطاعة الأوامر، ثم الأوامر الإلهية التي ستصنع المجتمع وتنقذه من المآزق والمشاكل.

ب-سياق سورة الأعراف:

أول ما يجدر التنبيه عليه أن سورة الأعراف سورة مكية وهي سابقة زمنيا لسورة البقرة، وعليه فسنجد فيها الخطاب المكي بكل تجلياته في التركيز على بناء العقيدة، والتخويف الشديد من عقوبة الله، وضرب الأمثال للأمم التي لحق بها غضب الله، وسنجد فيها التركيز على الأمور من حيث نهايتها التي آلت إليها في سرد تاريخي محكم. حيث تنقل لنا الحادثة بتسليط الضوء على نهايتها؛ وذلك لإعطاء الموعظة والزجر والتخويف، فهي -إن جازت لنا التسمية- يمكن أن نسميها سورة (النهايات)، كما أنها راعت إلى حد بعيد السرد التاريخي المتسلسل للأحداث مع الأنبياء الذين ذكرتهم السورة، ثم السرد الدقيق المسلسل زمنيا لأحداث بني إسرائيل، وهذا ما يفسر اختلاف ترتيب الأحداث بين الموضعين في سورة البقرة وسورة الأعراف. فسورة البقرة لم تراعِ التسلسل الزمني لأنها منهجها وبنيتها العميقة تركز على

---

18 - سورة البقرة: ٢٨٥

التربية والتشريع. أما سورة الأعراف فقد راعت الدقة التاريخية والتركيز على العقوبات التي طالت الأقوام الفاسقين وذلك في تسلسل وعلة هذا التسلسل هي بيان أن الأقوام منذ آدم لم ينجُ الفاسقون منهم من عقوبة الله. كما أنها تركز على سلب النعم والانتقام في مقابل الكفر بالنعمة والمعصية، أما سورة البقرة فهي تركز على إظهار النعمة والتذكير بها. فسياق سورة الأعراف يركز على العقوبة وهي السمات الموضوعية للخطاب المكي بشكل عام. لذلك لا عجب حين تطالعنا سورة الأعراف بهذه الآية: ﴿ تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآئِهَا وَلَقَدْ جَاءتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ مِن قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللّهُ عَلَىَ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ﴾[19] ففيها زجر شديد، وموعظة من سير الأقوام المكذبة التي طالها انتقام من الله، وبخاصة أولئك الذين مُحقوا من على وجه الأرض، فلم تبقَ منهم باقية. فالغاية التركيز على النهاية التي آل لها الأقوام وإظهار ثنائية التكذيب والانتقام، وفي ذلك تخويف شديد للمجتمع المكي المكذب لرسالة محمد.

لذلك تطالعنا السورة بهذه الثنائية من بدايتها: **﴿وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءهَا بَأْسُنَا بَيَاتاً أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ ﴾**[20]. ويبدأ التسلسل من قصة آدم وإبليس والعقوبة التي لحقت بهما وهي الإخراج من الجنة، ثم يأتي قوله تعالى: **﴿قَالَ ادْخُلُواْ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّن الْجِنِّ وَالإِنسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا ادَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعاً قَالَتْ**

---

19 – سورة الأعراف: ١٠١

20 – سورة الأعراف: ٤

أَخْرَاهُمْ لأُولاَهُمْ رَبَّنَا هَـؤُلاء أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَاباً ضِعْفاً مِّنَ النَّارِ قَـالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَـكِن لاَّ تَعْلَمُونَ﴾[٢١].

ثم تبدأ سير الأنبياء مع أقوامهم، والبداية من عند نوح بشكل موجز يركز على النهاية: **﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِـي الْفُلْـكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْماً عَمِينَ﴾**[٢٢]. ثم قوم عاد والنهاية: ﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّـذِينَ كَـذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُواْ مُؤْمِنِينَ﴾[٢٣]. ثم قوم ثمود والنهاية: **﴿أَخَـذَتْهُمُ الرَّجْفَـةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾**[٢٤]. ثم قوم لوط والنهاية:**﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَراً فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾**[25]. ثم قوم شعيب والنهايـة : **﴿فأخذتهم الرجفة﴾**[٢٦]. **﴿ثم بعثنا من بعدهم موسى﴾**[27]، وجملـة **(مـن بعدهم)** هي مراعاة للتسلسل الزمني في منهج السورة. ثم تبـدأ قصـة موسى بتسلسل تاريخي من لحظة تكليفه بالرسالة، وتوضح العقوبـات التي طالت من رغب عن أمر ربه، سواء كان فرعون وآلـه، أم بنـو إسرائيل بعد خروجهم من مصر، فهناك عقوبة رادعة عند كل معصية. فالسياق سياق وعظ وزجر وتخويف وتركيـز علـى نهايـة الأمـور

---

21 – سورة الأعراف: ٣٨

22 – سورة الأعراف:٦٤

23 – سورة الأعراف: ٧٢

24 – سورة الأعراف:: ٧٨

25 – سورة الأعراف:٨٤

26 – سورة الأعراف: ٧٨

27 – سورة الأعراف: ١٠٣

وعواقبها، وبخاصة الأقوام الذين أُبيدوا بالجملة. وهذا الخطاب موجّه للمجتمع المكي، وفيه تخويف مما جرى مع القرى في الماضي، لينقذ أهلُ مكة قريتهم من مواجهة المصير نفسه. ومما تجدر الإشارة إليه أن هذا الاستعراض العام لسياق السورتين هو من اجتهاد الباحث وأن ثمة مراجع كان لها رأي أيضا في أهداف السورتين وسياقاتهما والنظر فيهما[٢٨].

ومن هنا وبعد أن عرضنا لسياق السورتين نستطيع أن نفسر الفروق بين الموضعين الذين ذكرا حادثة دخول بني إسرائيل للقرية وحادثة الاستسقاء وما وقع فيهما من تمايز لغوي في الظاهر.

ثالثا - رصد الفروق بين الموضعين من السورتين:

١- أول فرق يطالعنا عند قراءة النصين هو الخطاب المباشر الحاضر في سورة البقرة (وظللنا عليكم الغمام. وأنزلنا عليكم) أما في سورة الأعراف فإن الخطاب بالغائب (وظللنا عليهم الغمام. وأنزلنا عليهم المن والسلوى).

٢- أما الفرق الثاني فهو تقديم بعض الأحداث في سورة البقرة وتأخيرها في سورة الأعراف، نحو: تقديم الدخول للقرية على الاستسقاء في سورة البقرة وتأخيرها في سورة الأعراف.

٣- أما الفرق الثالث فهو فرق لغوي حيث جاء في سورة البقرة الفعل (ادخلوا) وفي الأعراف (اسكنوا)

---

28 - انظر على سبيل المثال : سيد قطب ، في ظلال القرآن ج١-ص:٢١-٢٩

٤- الفرق في استعمال الواو والفاء، ففي سورة البقرة (ادخلوا فكلوا) أما في الأعراف فقد جاء (اسكنوا وكلوا)

٥- في سورة البقرة وردت كلمة (رغدا) في قوله (فكلوا منها حيث شئتم رغدا) أما في الأعراف فلم ترد هذه الكلمة.

٦- في سورة البقرة جاء ت كلمة (خطاياكم) أما في الأعراف فقد وردت (خطيئاتكم)

٧- في سورة البقرة جاءت الواو مع قوله (وسنزيد المحسنين) أما في الأعراف فقد وردت (سنزيد المحسنين) بدون واو.

٨- في سورة البقرة جاء كلمة (فأنزلنا) في قوله: (فأنزلنا على الذين ظلموا) أما في سورة الأعراف فجاءت كلمة (فأرسلنا).

٩- في سورة البقرة لم ترد شبه الجملة (منهم) في قوله تعالى: (فأنزلنا على الذين ظلموا) أما في سورة الأعراف فوردت في قوله تعالى: (فأرسلنا على الذين ظلموا منهم رجزا)

١٠- في سورة البقرة جاء قوله تعالى: (وإذ استسقى موسى لقومه) أما في الأعراف فجاء قوله تعالى: (وأوحينا إلى موسى إذ استسقاه قومه).

١١- في سورة البقرة وردت كلمة (فانفجرت) أما في الأعراف فجاءت (فانبجست)

١٢- في سورة البقرة وردت كلمة (يفسقون) في قوله تعالى: (بما كانوا يفسقون) أما في الأعراف فوردت (يظلمون).

١٣- في سورة البقرة ورد قوله تعالى(كُلُواْ وَاشْرَبُواْ مِن رِّزْقِ اللَّهِ) أما في سورة الأعراف فجاء قوله: (كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ)

١٤- في سورة البقرة وردت كلمة (قلنا) في قوله تعالى (وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية) أما في سورة الأعراف فوردت كلمة (قيل) بالبناء للمجهول في قوله تعالى: (وإذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية).

وعند النظر في هذه الفروق بين النصين نستطيع أن نلمح شيئا بارزا في سورة البقرة وهو: أن حجم النعمة التي أفاض بها الله على بني إسرائيل يبدو مرتفعا مقارنة مع نص سورة الأعراف؛ فالماء متفجر بغزارة، كما ورد قوله (رغدا) وكذلك قوله (كلوا واشربوا) . أما في سورة الأعراف فالماء قليل (منبجس) ولم يرد قوله (رغدا) مما يدل على كفاف العيش، كذلك ورد قوله (كلوا) فقط بدون الفعل (واشربوا) كما وردت كلمة (خطيئاتكم) وهي جمع قلة أما في البقرة فوردت (خطاياكم) وهي جمع كثرة. إن أكثر الفروق بين الموضعين تصب في هذا المنحنى، فما في البقرة يقع في عموم التكثير وما في الأعراف يقع في عموم التقليل. على الرغم من أن الحدث واحد والحال واحدة.

رابعا: في تفنيد الفروق بين النصين:

١- أول فرق يطالعنا عند قراءتنا للموضعين هو اختلاف ترتيب الأحداث؛ ففي سورة البقرة تبدأ الأحداث: بتظليل الغمام، ثم إنزال المن والسلوى، ثم الأمر بدخول القرية، والأكل من خيراتها، ثم دخول الباب على هيئة السجود والطلب منهم أن يقولوا (حطة) من أجل غفران الذنوب، ثم ذكر تبديل الفاسقين

للقول ونزول العذاب عليهم، ثم ذكر حادثة الاستسقاء وتدفق الماء من الحجر.

أما في سورة الأعراف فتبدأ الأحداث بحادثة الاستسقاء، ثم تظليل الغمام وإنزال المن والسلوى، ثم ذكر حادثة دخول القرية، وقول كلمة الغفران (حطة)، ثم دخول الباب في هيئة السجود، ثم ذكر تبديل القول وإنزال العذاب. "وقدّم ﴿وادخلوا الباب سجدا﴾ على قوله:﴿ وقولوا حطة﴾ في هذه السورة وأخرها في الأعراف لأن السابق في هذه السورة ادخلوا فبين كيفية الدخول "[٢٩].

والناظر في كلا الموضعين يلاحظ اختلاف الترتيب للأحداث، واختلاف الترتيب هنا ليس له من مبعث سوى أن سورة الأعراف التزمت بمنهج السرد التاريخي المتسلسل للأحداث، في حين أن سورة البقرة لم تلتزم بذلك. ولا أدل على هذا من مراعاة شيء من المنطق، فحين يشتد الأمر على الناس في الصحراء بدون مأوى أو ظل أو ماء أو طعام، فإن أول مطلب لهم لا شك سيكون الماء، ثم سيكون بعد ذلك الظل والطعام، وهذا ما قدمته سورة الأعراف، ولم تراعِ سورة البقرة ذلك؛ لأنها معنية بإظهار النعمة من حيث حجمها. القرية التي أُمروا بدخولها هي: (أريحا) كما نصّ على ذلك أغلب المفسرين[٣٠]؛ لأن اليهود لم يدخلوا بيت المقدس على عهد موسى بدليل قوله تعالى:﴿ قَالَ فَإِنَّهَا

---

29 – محمود بن حمزة الكرماني، أسرار التكرار في القرآن المسمى البرهان في توجيه متشابه القرآن، تحقيق :عبد القادر احمد عطا ، دار الفضيلة، ج١- ص ١٧-٢٠

30 – الرازي، فخر الدين ، مفاتيح الغيب، دار الشروق ، ط١ ج٢- ص: ٨٢

مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الأَرْضِ فَلاَ تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾[31] بل دخلوها فيما بعده في عهد ميشع بن نون، ويبدو أن الباب لم يكن بوابة المدينة؛ بل هو باب مقدس داخلها، أو باب القبة المقدسة كما نص على ذلك بعضهم، لذلك نجد في كلا السورتين أن دخول القرية سابق لدخول الباب. وقد ورد هذا الرأي في كثير من التفاسير، فمثلا يقول أبو السعود:" المراد بالقرية أريحا فقد روي أنهم دخلوها حيث سار إليها موسى عليه السلام بمن بقي من بني إسرائيل أو بذراريهم على اختلاف الروايتين ففتحها، وأما إن كانت بيت المقدس فقد روي أنهم لم يدخلوه في حياة موسى عليه السلام فقيل المراد بالباب باب القبة التي كانوا يصلون إليها"٣٢.

وقد ورد في سورة الأعراف أن نطق كلمة الاستغفار (حطة) سابق على دخول الباب على هيئة السجود وورد في البقرة العكس. ﴿وقولوا حطة وادخلوا الباب سجداً﴾. "فلم يبدأ بالسجود هنا لأن السجود من أقرب ما يكون العبد لربه، وهم في السياق هنا مبعدون عن ربهم؛ لمعاصيهم...وقد بُدئ به في مقام التكريم، وتقديم السجود أمر مناسب للأمر بالصلاة الذي جاء في سياق السورة ﴿وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ وَارْكَعُواْ مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾[33] والسجود هو من أشرف العبادات"[34]. ومن المعروف أن هناك ثلاثة أحداث في هذه الآيات -1 تظليل الغمام وإنزال

---

31 – سورة المائدة: ٢٦

32 - تفسير أبي السعود ج٣– ص٢٨٣ –٢٨٤

33 – سورة البقرة: ٤٣

34 – الكرماني، أسرار التكرار، ج١– ص : ٢٢

المن والسلوى-2 دخول القرية -3 الاستسقاء وقد جاء الترتيب في سورة البقرة: (1-2-3) وجاء في سورة الأعراف (٣-١- ٢) وعندما يستخدم القرآن لفظ) (وإذ) فإنه يشير لحدث للعبرة، دون أن يحدد زمانه أو ترتيبه، أما إذا جاء حرف العطف بين الحدثين فإن أحدهما يتلو الآخر، ومن هنا -وطبقا لسورة الأعراف- نعرف أن تظليل الغمام يتلو الاستسقاء، لكن دخول القرية لا يلزم أن يتلو تظليل الغمام طبقا لسورة البقرة، فإنها لا تحدد ترتيب الأحداث وبالتالي لا تعارض ترتيب سورة الأعراف لتظليل الغمام بعد الاستسقاء. إذن الترتيب الراجح -والله أعلم- هو: أن تظليل الغمام يتلو الاستسقاء أما دخول القرية فلا نعرف ترتيبه. وهذا بديهي لأن الحاجة للماء تكون أكثر وأشد من الحاجة للظل والطعام. ومن البديهي أن نعرف أن دخول القرية هو آخر حدث من الأحداث الثلاثة؛ لأن بني إسرائيل أول ما خرجوا من مصر مكثوا في سيناء وهي أولى مراحلهم بعد الخروج، ثم بعد أن أُمروا بدخول القرية رفضوا وكان جوابهم لسيدنا موسى: ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْماً جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىَ يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُواْ مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ﴾[٣٥]. وقولهم: ﴿ قَالُواْ يَا مُوسَى إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَداً مَّا دَامُواْ فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾[36]. وكان عقابهم أن وقعوا في التيه مدة أربعين سنة، مما يعني أن بلغوهم سيناء كان أول مرحلة بعد الخروج من مصر، ولا يعقل أنهم أُمروا بدخول القرية وهم في

35 – سورة المائدة: ٢٢

36 – سورة المائدة: ٢٤

الصحراء بدون ماء أو طعام، ثم بعد رفضهم الدخول تأتيهم نعمة الماء والظل والطعام، وهذا يفيدنا أن ترتيب الأحداث في سورة الأعراف هو الترتيب الزمني الدقيق(١-٢-٣) وأن ترتيب سورة البقرة جاء على هذا النحو: (٢-٣-١). أما فيما يخص سبب اختلاف ترتيب الأحداث في سورة البقرة فذلك لأن سورة البقرة ركزت على النعمة من حيث حجمها، فسياق السورة يقوم على التذكير بالنعم. يُضاف إلى ذلك أن عدم ترتيب الأحداث في سورة البقرة يشير إلى الهدف العام من السورة، فالسورة في البداية تدعو بني إسرائيل للدخول في الدين الجديد، **(وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّايَ فَاتَّقُونِ)**[٣٧]. ثم بعد أن مضت آياته الدعوة والتذكير بنعم الله العظيمة عليهم جاء آيات فضح النوايا وكشف الخبث؛ لتحذير المؤمنين منهم. وهذا الخطاب في عمومه لا يناسبه التسلسل التاريخي للأحداث. وفي هذا يقول صاحب الظلال:" القرآن لا يعرض هنا قصة بني إسرائيل، إنما يشير إلى مواقف منها ومشاهد باختصار أو بتطويل مناسب. وقد وردت القصة في السور المكية التي نزلت قبل هذا، ولكنها هناك كانت تذكر – مع غيرها – لتثبيت القلة المؤمنة في مكة بعرض تجارب الدعوة وموكب الإيمان الواصل منذ أول الخليقة، وتوجيه الجماعة المسلمة بما يناسب ظروفها في مكة. فأما هنا فالقصد هو ما أسلفنا من كشف حقيقة نوايا اليهود ووسائلهم وتحذير الجماعة المسلمة منها، وتحذيرها كذلك من الوقوع في مثل ما وقعت فيه قبلها يهود.

---

37 – سورة البقرة: ٤١

وبسبب اختلاف الهدف بين القرآن المكي والقرآن المدني اختلفت طريقة العرض؛ وإن كانت الحقائق التي عرضت هنا وهناك عن انحراف بني إسرائيل ومعصيتهم واحدة (كما سيجيء عند استعراض السور المكية السابقة في ترتيب النزول"[٣٨].

٢- جاء أغلب الخطاب في الآيات موضوع الدراسة من سورة البقرة بضمير المخاطَبين (كم) مثل قوله تعالى:﴿وظللنا عليكم الغمام وأنزلنا عليكم﴾ أما في سورة الأعراف فقد جاء بضمير الغائبين (هم). وعلة هذا الاختلاف في صيغة الخطاب ترجع إلى أن سورة الأعراف مكية والمجتمع المكي يخلو من اليهود، والخطاب في السور المكية خطاب عالمي في أكثره وإن كان في أحيان يلمز أهل مكة بخاصة لأنها منطلق الدعوة. أما سورة البقرة فهي مدنية، واليهود آنذاك شريحة مهمة من شرائح المجتمع المدني. وقد تفردت سورة البقرة بحديث طويل عن اليهود. وكان يتعاور هذا الحديث أسلوبان، أو هو ينقسم من حيث الرؤية إلى قسمين. الأول منهما: خطاب يمكن أن نسميه (تصالحيا) في معظمه إن جاز لنا التعبير؛ فهو يذكّر اليهود بأنعم الله عليهم، ويدعوهم للدخول في الدين الجديد، ويدعوهم للإيمان بالنبي الذي ذُكر عندهم. وهذا الخطاب يبدأ من الآيات ٤٠- ٧٤ حتى تأتي الآية التي تقطع الرجاء من صلاح اليهود، حيث يقول تعالى:

---

38 – سيد قطب بن (ت ١٣٨٧هـ): في ظلال القرآن ، دار إحْياء التراث العربي ، ط٧ ، ١٩٧١م . ج١-ص: ٦٠-٦١

﴿ أفتطمعون أن يؤمنوا لكم﴾[٣٩]. وبعد هذه الآيات يختلف أسلوب القرآن في الحديث عنهم، حيث يشرع في فضح ألاعيبهم، وكشف معتقدهم وحقيقتهم، وجبلتهم الفاسدة. أما نصنا المخصوص بالدراسة فيقع في القسم الأول (الخطاب التصالحي) وهو يخاطب يهود المدينة كجزء من اليهود الذين رافقوا موسى عليه السلام، مثل قوله تعالى:﴿ وإذ أنجيناكم من آل فرعون....فرقنا بكم البحر....وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك﴾[40] فيهود المدينة ما هم إلا امتداد طبيعي لأسلافهم في السلوك والتفكير والاعتقاد. إلا أن ثمة لفتةً دقيقةً في آيات سورة البقرة، فإذا أمعنا النظر في السياق نجد فيه (وأنزلنا عليكم – ادخلوا فكلوا)، ثم نجد التفاتا في قوله تعالى: ﴿فبدل الذين ظلموا قولا﴾[٤١] وهنا انعطفت وتيرة السياق إلى الإخبار بالغيبة بدلا من الإخبار بالمخاطبة؛ وعلة ذلك أن يهود المدينة شركاء في النعم التي أفاض بها الله على بني إسرائيل زمن موسى، ولولا تلك النعم لم يكونوا موجودين على وجه الأرض، فلولا أن الله فرق بهم البحر لانقرضوا، ولولا أن جعل لهم في الصحراء ماء وظلا وطعاما لانقرضوا أيضا، فيهود المدينة شركاء ومستفيدون من تلك النعم التي ضمنت لهم بقاءهم، لذلك لزم تذكيرهم بها. أما عن تبديل أسلافهم لعبارة الاستغفار التي أمرهم بها الله والتي أخذهم بعذاب بعدها– فهم غير شركاء

---

39 – سورة البقرة:٧٥

40 – سورة البقرة: الآيات: ٤٨–٥٢

41 – سورة البقرة : ٥٩

لأنهم لو كانوا كذلك لأدركهم العذاب ولم يمتد بهم الأمد، ومن هنا لم يخاطبوا في ذلك كشركاء. مع العلم أنهم خُطِبوا كشركاء فيما هو أكبر من ذلك كقوله تعالى:﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ * ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[42]. فهنا رفع الله عنهم العقاب، أما في تبديل القول فلم يرفع عنهم العقاب، بل إن بعض المرويات في كتب التفسير تدل على أن الله أنزل بهم الطاعون فهلك منهم سبعون ألفا في يوم واحد[43]، والبعض يقلّل العدد أو يزيده. ولو كان يهود المدينة شركاء في هذا الجرم لما امتدوا عبر الزمان. وهذه إحدى دقائق السياق القرآني، على أن تلك الخطيئة تظل وصمةً في تاريخهم، ومعصيةً قابلةً للتكرار عندهم، بسبب طبائعهم المريضة. فاختلاف صيغة الخطاب بين الغيبة في سورة الأعراف والمخاطب في سورة البقرة يرجع إلى أن سورة البقرة توجه خطابها لليهود مباشرةً، وكان اليهود آنذاك حاضرين في المدينة، أما في سورة الأعراف فهي تحدثنا بحس السرد التاريخي الوعظي الغائب من جهة، كما أن اليهود غير حاضرين في شرائح المجتمع المكي من جهة أخرى.

---

42 -سورة البقرة: ٥٥-٥٦

43 – انظر على سبيل المثال الزمخشري، الكشاف، ، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، : ج١-ص:١٧٢

وفيما يخص باقي الفروق فإنها ترجع إلى نقطة هامة، هي: أن آيات سورة البقرة تصف لنا الحادثة من بداياتها؛ أي التدرج في علاقة بني إسرائيل بربهم ففي البداية كان الله يفيض عليهم بالنعم، وبعد تماديهم وجحودهم أخذ التدرج في العقاب شيئا فشيئا ينزل بهم، في حين تنقل لنا آيات سورة الأعراف الحادثة نفسها من حيث نهايتها، أو في آخر مراحل عقابهم آنذاك حيث قدرت عليهم أرزاقهم . والفرق بين الموضعين في سورة الأعراف وسورة البقرة هو أن آيات سورة البقرة تصف لنا النعمة والتفضّل من جهة الكثرة بينما تصف لنا آيات سورة الأعراف النعمة من باب التقليل أو النعمة في آخر مراحلها قبل أن تُسلب كليا، لأنها تتحدث عن القصة من حيث نهايتها، وقد انتهت علاقة بني إسرائيل بربهم إلى أن ﴿ بَآؤُواْ بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ ﴾[44]. وسورة الأعراف -كما تقدم- تركز على سلب النعمة. وإذا أعدنا السؤال السابق : أي الحادثتين وقعت؟ نقول ببساطة إن كلتا الحادثتين قد وقعت؛ ففي سورة البقرة تحدثنا القصة عن خير كثير وماء غزير، ومغفرة كثيرة، ورغد من العيش، وقد كان هذا بالفعل، فهو فضل أفاض به الله على بني إسرائيل تشجيعا لهم ليؤلف به قلوبهم، لقاء أن يشكروه ويطيعوا أوامره، ولكن عندما تنكّر بنو إسرائيل للنعمة، وجحدوا فضل الله، وخالفوا أوامره. أخذت النعمة تقل بين أيديهم، والماء بدلا من أن يكون متفجرا بات منبجسا، والعيش بعد أن كان رغدا بات كفافا، وكذلك الوعود بالمغفرة وحط الذنوب باتت قليلة. وكل ذلك لأن بني إسرائيل لم

---

44 سورة البقرة: ٩٠

يشكروا نعمة الله. ومن هنا لزم لنا أن نقول إن سورة البقرة تصف البداية في حين تصف سورة الأعراف النهاية، والعقاب كان ينزل تدريجا مع كل معصية. ومما يساعدنا في توجيه هذا الرأي فهو تفنيد الفروق اللغوية التي وقعت بين النصين.

٣ – ورد في آيات سورة البقرة قوله تعالى:﴿ فأنزلنا على الذين ظلموا رجزا﴾[٤٥] وفي الأعراف ورد الفعل (فأرسلنا) في قوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزاً مِّنَ السَّمَاءِ﴾[46] والفرق اللغوي بين الفعلين هو أن الإنزال: بداية الشيء ويوحي بالتدرج، في حين أن الإرسال هو: أن يأتي دفعةً واحدةً مكتملةً، بدليل قوله تعالى: ﴿ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ﴾[47]. وكذلك قوله تعالى:﴿ لَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحاً فَرَأَوْهُ مُصْفَرّاً لَّظَلُّوا مِن بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ ﴾[48]، وقوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاء اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[٤٩]. فالرياح مرسلة والمطر منزل قال تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُوراً﴾[50]، والأنبياء مرسلون والكتب السماوية منزلة، فالإنزال

---

45 – سورة البقرة: ٥٩

46 – سورة الأعراف: ١٦٢

47 – سورة الحجر : ٥٨

48 – سورة الروم : ٥١

49 – سورة فصلت : ٣٩

50 – سورة الفرقان : ٤٨

يكون لشيء من السماء، والإرسال يكون لشيء من الأرض، أو بمعنى رياضي الإنزال يكون عموديا والإرسال أفقيا، مع أن السياق محدد بالظرفية (من السماء) إلا أنها تشعر أن ذلك الرجز موحى به من السماء ولا يشترط أن يكون هبط مكانيا من السماء. وقد جاء في كتاب الفروق لأبي الهلال: أن "الإنزال هو بداية الإرسال وفيه تمهّل"[٥١]. وهذا يطابق ما ذهبنا إليه من أن الإنزال جاء في سورة البقرة؛ لأنها تصف لنا القصة من حيث البداية؛ ففي البداية كانت العقوبة خفيفة ثم أخذت تثقل بالتدريج حتى اكتملت كنزول المطر، فالإنزال فيه تدرج ، وسورة البقرة إذ تنقل لنا الحدث من بداية كانت العقوبة في بدايتها لم تكتمل فهي تتنزل عقب كل عصيان، ومن هنا كانت كلمة (أنزلنا) ذات دقة عالية. وحين وردت كلمة (أرسلنا) في سورة الأعراف فإنها تحكي لنا القصة من حيث النهاية بعد اكتمال عقاب بني إسرائيل إذ باؤوا بغضب الله واكتمل عقابهم في تلك المرحلة وانتهى فكأنما أرسل لهم وانتهت مراحل تدرجه لأنه بلغ النهاية. مع العلم أن العقوبة واحدة كما تدل بعض التفاسير وهي: الطاعون، حيث هلك منهم جمع غفير في ساعة، إلا أن الإرسال فيه غلظة وعنف أكثر ويشعر أن العذاب والانتقام والغضب أتى دفعةً واحدةً، ذلك أن سورة الأعراف كان سياقها منصبا على التخويف وإظهار عقوبة

---

51 – أبو هلال العسكري، معجم الفروق اللغوية، الحاوي لكتاب ابي هلال العسكري وجزءا من كتاب السيد نور الدين الجزائري –حرف الألف المادة رقم: ٣٢٣

الله السريعة. أو كما يقول السيوطي:" وفي البقرة إشارة إلى سلامة غير الذين ظلموا لتصريحه بالإنزال على المتصفين بالظلم، والإرسال أشد وقعا من الإنزال.[٥٢]" ويرى بعضهم أن:" الإرسال مشعرٌ بالكثرة بخلاف الإنزال؛ فكأنه أنزل العذاب القليل ثم جُعل كثيرا "[٥٣]. وثمة آراء أخرى لبعض المفسرين في هذين الفعلين منها: " فأرسلنا عليهم إثر ما فعلوا من غير تأخير، وفي سورة البقرة على الذين ظلموا والمعنى واحد والإرسال من فوق فيكون كالإنزال، رجزا من السماء: عذابا كائنا منها، والمراد الطاعون[٥٤]. ومنها أيضا: " فأنزلنا على الذين ظلموا، وفي الأعراف (فأرسلنا) لأن لفظ الرسول والرسالة كثرت في الأعراف، فجاء ذلك وفقا لما قبله وليس كذلك في سورة البقرة"[٥٥]. والفرق بين الفعلين كما يتضح هو في السرعة والتمهل، فالإرسال يوحي بسرعة الفعل في تمامه، وهو يناسب سورة الأعراف، حيث ركّزت على العقاب الذي لحق بالأمم، أو هي كانت تنقل لنا الحدث من زاوية ما استقر عليه الأمر في نهاية المطاف، أمر بني إسرائيل حيث أصبحوا ظالمين، وأمر نعمة الله التي تبدلت عقابا. أما الإنزال فهو ملائم لسياق سورة البقرة لأنها

52- السيوطي ، الإتقان ج٢- ص٣٠٦

53 - الألوسي، روح المعاني: ج٩-ص٨٩

54 -أبو السعود، تفسير أبي السعود: ج٣- ص٢٨٣ -٢٨٤

55 - الكرماني: أسرار التكرار في القرآن: ج١- ص ١٧-٢٠

نقلت لنا الحدث نفسه ولكن بزاوية رؤية مختلفة تستند على ما كان عليه الأمر في بدايته

٤- ورد في سورة البقرة قوله تعالى ﴿بما كانوا يفسقون﴾[٥٦]،بينما ورد في الأعراف﴿مَا كَانُواْ يَظْلِمُونَ﴾[57]. والفرق بين الفسوق وبين الظلم: أن الفسوق هو بداية الظلم أو المعصية، أو اجتراح حد من الحدود، كعصيان الأوامر أو "هو الخروج من طاعة الله بكبيرة"[٥٨]. بينما الظلم يمثل تمام المعاصي وكثرتها وتنوعها. ومن هنا فإن الظلم يبدأ في مراحله الأولى بالفسوق ثم يكتمل ليصبح ظلما. والنص موضع الدراسة من سورة البقرة يصف البداية، بداية عصيان بني إسرائيل؛ لذلك كان من المناسب استعمال كلمة (يفسقون)، في حين ينقل لنا النص موضع الدراسة من سورة الأعراف النهاية التي يلازمها اكتمال المعصية فناسبها استعمال الفعل(يظلمون). "فكأنه أنزل العذاب القليل ثم جعله كثيرا، والفائدة في ذكر الظلم والفسق في الموضعين للدلالة على حصولهما فيهم"[٥٩]. وفي القرآن: ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾[60]. والمعنى المفهوم منها الجمع (حدود) حيث يكون الظلم موحيا

---

56 – سورة البقرة: ٥٩

57 - سورة الأعراف: ١٦٢

58 – أبو الهلال العسكري: معجم الفروق اللغوية: باب الفاء. المادة: ١٦٢١

59 – الألوسي ، روح المعاني ج٩-ص٨٩

60 -سورة الطلاق: ١

بالكثرة. وقوله تعالى: ﴿ أَن تَسْتَقْسِمُواْ بِالأَزْلاَمِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ﴾[61]. وفي الآية إشعار أن الفسق هو مخالفة حد من حدود الدين، ولا يوحي بالخروج من الأيمان، ومنه قوله تعالى: ﴿ بِئْسَ الاِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ﴾[62]. وهذا يؤيد ما ذهبنا إليه من أن آياته البقرة موضع الدراسة تنقل لنا القصة من حيث تدرجها الأولي حيث كانت النعمة كثيرةً والمعصية قليلة التي يناسبها الفسوق، في حين أن الآيات موضع الدراسة من سورة الأعراف تنقل لنا آخر تدرج في مراحل الحدث حيث كانت النعمة قليلةً والعصيان كبير وهو ما يناسبه (الظلم).

٥- جاء في سورة البقرة قوله تعالى ﴿وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية﴾[63]، وفي الأعراف (اسكنوا) والفرق بين الفعلين هو أن الدخول يمثّل بداية السكن، ففي البداية كانوا مأمورين على مضض بالدخول فقط، كنوع من الترغيب والتخفيف عنهم؛ لأنهم رفضوا دخول القرية؛ ففيها قوم جبارون، وسيكون طلب السكن منهم في هذه الحالة صعبا؛ لذلك جاء الفعل (ادخلوا) وكأنه إيحاء بأنه مؤقت. بينما كان الأمر الرباني في السكن كهدف أبعد من الدخول، لذلك حين تحدثنا سورة الأعراف عن نهاية القصة تحدثنا عن أمر السكن لأنهم دخلوا القرية ولكن ليس على عهد موسى، فقد حُرّمت عليهم أربعين سنة، فكان أن دخلوا فيما بعد وسكنوا

---

61 – سورة المائدة: ٣

62 سورة الحجرات: ١١

63 – سورة البقرة: ٥٩

وكوّنوا ممالك في عهد نبي الله داود وكذلك سليمان. وفي الكشاف: "وإذ قلنا ادخلوا القرية بيت المقدس، وقيل أريحا، من قرى الشام أمروا بدخولها بعد التيه. والباب هو باب القرية، وقيل هو: باب القبة التي كانوا يصلون إليها، وهم لم يدخلوا بيت المقدس في حياة موسى عليه الصلاة والسلام"[٦٤]. وقد تكررت آية الدخول في أكثر من موضع في القرآن، كقوله تعالى: ﴿ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ادْخُلُواْ الْبَابَ سُجَّداً ﴾[٦٥]. وقوله تعالى: ﴿ يا قَوْمِ ادْخُلُوا الأَرْضَ المُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللّهُ لَكُمْ وَلاَ تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾[٦٦]. وقوله أيضا: ﴿ قَالَ رَجُلاَنِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُواْ عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللّهِ فَتَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[٦٧]. ومن جهة أخرى ورد فعل الدخول في القرآن ليشير إلى الإقامة الدائمة، كدخول الجنة والنار، كما في قوله تعالى:﴿ قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴾[٦٨]. وفي القرآن استعمالان للفعل ادخلوا؛ استعمال طبيعي بمعنى الولوج المؤقت، كقوله تعالى: ﴿قالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ

---

64 – الزمخشري، الكشاف، ج١– ص: ١٧١

65 –– سورة النساء: ١٥٤

66 – سورة المائدة: ٢١

67 – سورة المائدة: ٢٣

68 – سورة الزمر: ٧٣

سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ ﴾[69]. ومنها الدخول بمعنى الإقامة الدائمة كدخول الجنة أو النار، كما تقدم في الآية السابقة، ودخول بني إسرائيل للقرية يحتمل المعنيين؛ فمن جهة يحتمل أنه لا يريد أن يثقل عليهم في سكن القرية التي امتاز أهلها بالجبروت، فأمرهم فقط بدخول الباب كتخفيف عليهم. ومن جهة أخرى ربما أراد -كنوع من التكريم- أن يكتب لهم الإقامة الدائمة في تلك القرية، لأن علاقتهم بالله كانت في بدايتها وكان فيها شيء من الطاعة من قبل القوم وكان فيها رحمة من الله.

أما الفعل (اسكنوا) فهو أيضا يحتمل دلالتين؛ فمن جهة يوحي بالسكن والإقامة والهدوء، وهو بخلاف الدخول الذي يعني الولوج السريع، وهو من جهة أخرى لا يفيد معنى الإقامة المستمرة بل المؤقتة؛ فلم يرد في القرآن استعماله مع الجنة والنار، وهما دارا الخلود، إلا في قصة آدم حيث كان سكنه مؤقتا؛ قال تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلاَ مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَـذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الْظَّالِمِينَ﴾[70]. والسكن هاهنا غير دائم فهو مشروط بنواهٍ تحدد مدته، لذلك لم يرد الفعل (ادخل) وقد يكون لذلك علة أخرى وهي أن آدم لم يكن خارج الجنة حتى يدخلها ويقيم فيها، ومن هنا كان الأنسب لدقة السياق القرآني استعمال الفعل (اسكن)، لأن آدم لم يخلق على الأرض، بل هبط إليها كعقوبة، وقد يكون الفعل اسكن أيضا محددا

---

69 سورة النمل: ١٨

70 – سورة البقرة: ٣٥

بمهلة زمنية ولا يفيد الاستمرارية أو الخلود؛ بدليل قوله تعالى قبل أن يخلق آدم:﴿ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[71] وذلك قبل أن يرتكب آدم معصيته. وهذا النص يفيدنا صراحةً أن السكن كان مؤقتا ولا يحمل في طياته الاستمرارية، ومن هنا نلمح أن استعمال (اسكنوا) في سورة الأعراف كان لا يشير إلى الاستمرارية لأن القصة توضح لنا أن الله غضب على بني إسرائيل ونزع عنهم صفة التفضيل والتكريم. وأن الفعل (ادخلوا) ربما يفيد الاستمرارية في بعض جوانبه بشكل أكبر. وقد ورد في الكشاف: "لا بأس باختلاف العبارتين إذا لم يكن هناك تناقض، ولا تناقض بين قوله: ﴿اسكنوا هذه القرية وكلوا منها﴾، وبين قوله: (فكلوا) لأنهم إذا سكنوا القرية فتسببت سكناهم للأكل منها، فقد جمعوا في الوجود بين سكناها والأكل منها، وسواء قدّموا الحطة على دخول الباب أو أخروها، فهم جامعون في الإيجاد بينهم، وترك ذكر الرغد لا يناقضَ إثباته "[72]. ولبعضهم رأي طريف في تفنيد الاختلاف حيث يقول: " ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادخلوا هذه القرية فَكُلُواْ ﴾ وفي الأعراف ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسكنوا هذه القرية وَكُلُواْ﴾ ...وأخبر بما بعد الدخول وهو السكنى لالتزامها إيّاه، وإن كانتا قصتين فتلك بعد هذه. أجاب أبو جعفر الزبير بأنهم أمروا أولا بالوسيلة وهي لدخول، ثم أمروا

---

71 – سورة البقرة: ٣٠

72 – الزمخشري، الكشاف، ج٢: ص: ١٦١

بالمقصد وهو السكنى"[٧٣]. فالآيات موضع الدراسة من سورة البقرة، توضح لنا بداية الطلب الرباني من بني إسرائيل وهو الدخول وذلك لتشجيعهم وتخفيف العبء عنهم في حين كان يقدر لهم السكن فيها فور دخولهم. لكنهم لم يستجيبوا، ولأن سورة الأعراف تنقل لنا آخر مراحل التدرج في علاقة بني إسرائيل بربهم (النهاية) ذكرت لنا المقصد الرباني من وراء أمر الدخول كان السكن وليس مجرد الدخول.

٦- ورد في سورة البقرة قوله تعالى: ﴿فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً﴾[٧٤] وفي الأعراف جاء الفعل (فانبجست) قال تعالى: ﴿أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْناً﴾[75]. والفرق بين انفجر وانبجس كما تدل المعاجم هو: أن بجس وبجس والبجس أصله: انشقاق في قربة أو حجر أو أرض ينبع منه الماء، فإن لم ينبع فليس بانبجاس، والسحاب يتبجس بالمطر. والانبجاس عام والنبوع للعين خاصة[٧٦]. قال الرازي: " قال المفسرون: انفجرت انبجست: بمعنى واحد. والانبجاس والانفجار سواء، وعلى هذا التقدير فلا تناقض بين الانبجاس المذكور ههنا وبين الانفجار المذكور في سورة البقرة، وقال آخرون: الانبجاس خروج الماء بقلة، والانفجار

---

73 – أبو عبد الله محمد بن محمد بن عرفة الورغمي، تفسير ابن عرفة، تحقيق: د. حسن المناعي، مركز البحوث بالكلية الزيتونية – تونس – ١٩٨٦ ،ج١- ص:٢٩٥

74 – سورة البقرة: ٦٠

75 – سورة الأعراف: ١٦٠

76 - ابن منظور، لسان العرب، مادة بجس

خروجه بكثرة، وطريق الجمع: أن الماء ابتدأ بالخروج قليلا، ثم صار كثيرا، وهذا الفرق مروي عن أبي عمرو بن العلاء"[٧٧].

وقد أرجع السيوطي في "الإتقان" اختلاف اللفظين إلى سياق الآيتين، لا إلى دلالتهما اللغوية، فقال: "في البقرة:(فَانفَجَرَتْ)، وفي الأعراف (فَانبَجَسَتْ)؛ لأن الانفجار أبلغ في كثرة الماء، فناسب سياق ذكر النعم التعبير به. يقصد بذلك: أن سياق الآية في البقرة، جاء فيه ذكر النعم التي أنعم الله بها على بني إسرائيل، وذلك قوله تعالى : **﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾**[78]، وقوله أيضاً:﴿فَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَداً﴾[٧٩]. غير أن هذا التعليل منتقَض من جهة أن السياق الذي جاءت فيه آية الأعراف، فيه أيضاً ذكر للنعم، قال تعالى: ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ.﴾[80].

والفرق اللغوي بين الفعلين هو أن الانفجار يمثل التدفق الغزير للماء، بينما الانبجاس يمثل خروج الماء بكمية قليلة، كما في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ

---

77 – الرازي، مفاتيح الغيب، ج٨، ص: ٢٩، وانظر في هذا المجال: الألوسي ، روح المعاني ، ج٣، ص: ١٤١

78 – سورة البقرة: ٥٧

79 – السيوطي، الإتقان: ٣٨١، وانظر المعنى نفسه عند الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن الكريم، مادة : بجس

80 – سورة الأعراف: ١٦٠

الْمَاء﴾[81]. وعلة ذلك أن الانفجار كان في بداية الأمر قبل أن تكثر معاصي بني إسرائيل، وسورة البقرة تحدثنا عن البداية، بينما الانبجاس كان تاليا للانفجار بزمن لأنه كان عقوبةً بسبب كثرة المعاصي[٨٢].

ومن العلماء من يرى عكس ذلك بناءً على حجج منطقية، إذ يعتبرون الانفجار تاليا للانبجاس من وجهة تصور علمية؛ حيث أن الماء يبدأ أول ما يبدأ منبجسا ثم يصل لدرجة الانفجار كما هو الحال عند الرازي حيث يقول:" لعله انبجس أولا، ثم انفجر ثانيا، وكذا العيون: يظهر الماء منها قليلا ثم يكثر لدوام خروجه. وثالثها: لا يمتنع أن حاجتهم كانت تشتد إلى الماء فينفجر، أي يخرج الماء كثيرا ثم كانت تقل فكان الماء ينبجس أي يخرج قليلا"٨٣. وكذا القول عند ابن كثير ٨٤. ومن البديهي القول إن اختلاف المترادفتين (انفجر) و(انبجس) وما بينهما في الكثرة والقوة، يستدعي بلا أي شك أن كلا الفعلين قد وقع وأن الفعلين جاءا مجانسين للسياق الخاص بكل سورة، فلا يمكن أن نوحدهما في دلالة واحدة أو أن نقول إن أحدهما وقع فقط، فذلك سيوقعنا مع إشكالية في التأويل؛ لأن دقة السياق القرآني تراعي كل ذرة من تفاصيل المعنى بلا زيادة ولا نقصان.

---

81 – سورة البقرة: ٧٤

82 – يُنظر. د. فاضل السامرائي، بلاغة الكلمة في التعبير القرآني .شركة العاتك للنشر . القاهرة – مصر . لطبعة الثانية ٢٠٠٦ م. ص: ١٠٩-١١٠

83 – فخر الدين الرازى، مفاتيح الغيب،ج٢– ص: ٨٩

84 ابن كثير، تفسير ابن كثير، ج١–ص١٠٢-١٠٣

٧- جاء في سورة البقرة قوله تعالى: ﴿نغفر لكم خطاياكم﴾[٨٥] بينما في سورة الأعراف (خطيئاتكم)، والفرق اللغوي بين الكلمتين هو أن الخطايا جمع كثرة والخطيئات جمع قلة، ولكل منهما مدلوله من حيث الكم؛ ففي البداية أي بداية تدرج المراحل في علاقة بني إسرائيل بربهم كان بنو إسرائيل موعودين بغفران كبير، ومحو للذنوب الكثيرة، لذلك وعدهم الله بغفران الخطايا على كثرتها، ولكنما حينما كثرت معاصيهم وتركوا شرع الله ضُيق عليهم ذلك، فأصبحوا موعودين بغفران الخطيئات، وهي جمع قلة، وفي هذا دلالة على أن سورة الأعراف تنقل القصة من نهايتها، حيث تلاشى ذلك الترغيب الكبير الذي حصلوا عليه، وانتهى بغضب من الله عليهم في نهاية الأمر، وتحوّل غفران الخطايا إلى غفران للخطيئات القليلة. وقد ورد عند بعضهم قوله: " لأن آية البقرة بنيت على كثرة تعداد النعم فناسبت جمع الكثرة (خطايا) وآية الأعراف لم يبالغ فيها بكثرة تعداد النعم فناسبت جمع القلة (خطيئات) وهو جمع السلامة "[٨٦].

٨- جاء في سورة البقرة قوله تعالى: ﴿ وسنزيد المحسنين﴾[87] بينما وردت في سورة الأعراف بدون واو ﴿ سنزيد المحسنين﴾[88] وللواو في هذا الموضع خصوصية وإيحاء كبير؛ فهي تدل على

---

85 - سورة البقرة: ٥٩

86 - تفسير ابن عرفة، ج١- ص: ٢٩٧

87 - سورة البقرة: ٥٨

88 - سورة الأعراف: ١٦١

محذوفات كثيرة كأن يقول: سأنعم عليكم بكذا وكذا...وسنزيد المحسنين، بينما يمثل غياب الواو عن آية الأعراف تقليلا من حجم النعم، كما أن فيها إيحاء بالتمهل والإرجاء وعدم الرضا. "وطرح الواو ههنا لا يخل بذلك لأنه استئناف مترتب على تقدير سؤال نشأ من الإخبار بالغفران كأنه قيل: فماذا لهم بعد الغفران فقيل سنزيد"[٨٩].

ولبعض العلماء توجيهات لهذه الآية على نحو: " كان بنو إسرائيل قد خطئوا خطيئة؛ فأحب الله أن يستنقذهم منها- إن تابوا وقال لهم: إذا انتهيتم إلى باب القرية، فاسجدوا، وقولوا: حطة - نحط عنكم خطاياكم (وسنزيد المحسنين) الذين لم يكونوا من أهل تلك الخطيئة- إحساناً إلى إحسانهم، فأما المحسنون: فقالوا الذي أمروا به، وأما الذين عصوا: فقالوا قولاً غير الذي قيل لهم٩٠. في حين يرى بعضهم أنه في: "هذه السورة (وسنزيد) وفي الأعراف (سنزيد) بغير واو لأن اتصالها في هذه السورة أشد لاتفاق اللفظين واختلافهما في الإعراب، لأن اللائق (سنزيد) محذوف الواو ليكون استئنافا لكلام ٩١. وثمة من ينظر للمعنى من جهة نحوية على نحو قوله: ": (وسنزيد المحسنين) وعد بالزيادة من خيري الدنيا والآخرة، ولذلك حذف مفعول نزيد.

---

89 تفسير أبي السعود ج٣- ص٢٨٣ -٢٨٤

90 - محمد بن عبد الله بن أبي زمنين، تفسير القرآن العزيز، تحقيق أبو عبد الله حسين بن عكاشة - محمد بن مصطفى الكنز، منشورات الفاروق الحديثة، القاهرة، ٢٠٠٢،ج١-ص:١٤٢

91- الكرماني أسرار التكرار في القرآن ج١- ص ١٧-٢٠

والواو عاطفة جملة (سنزيد) على جملة (قلنا ادخلوا) أي وقلنا سنزيد المحسنين؛ لأن جملة سنزيد حكيت في سورة الأعراف مستأنفة، فعلم أنها تعبر عن نظير لها في الكلام الذي خاطب الله به موسى على معنى الترقي في التفضل، فلما حكيت هنا عطفت عطف القول على القول٩٢. لكن يبدو أن المعنى الذي ذهبنا إليه يظل أرجح؛ لأن وجود الواو تدل على معطوفات حُذفت، أما غياب الواو في سورة الأعراف فيوحي بسكتة بسيطة تدل على عدم الرضا وتقليل الجزاء والله أعلم.

وفي عموم المعنى فإن حضور الواو –حسب تقديري– تشير إلى زيادة في العطاء والإنعام وهي تلائم آيات سورة البقرة موضع الدراسة لأنها تصف لنا كثرة النعمة الإلهية على بني إسرائيل. في حين أن غياب الواو دل على أن الله قدر عليهم نعمته ومغفرته.

٩– ورد في سورة البقرة قوله تعالى:﴿ فكلوا منها حيث شئتم رغدا﴾[٩٣] أما في سورة الأعراف فجَاء قوله تعالى: ﴿وكلوا منها حيث شئتم﴾[٩٤] دون وجود لكلمة (رغدا)؛ وهذا يعيدنا إلى البداية فسورة البقرة تصف بداية مراحل تدرج علاقة بني إسرائيل بربهم حيث أفاض الله عليهم بالنعم. وقد كانت النعمة كبيرةً قبل أن تقلل المعاصي منها، فيختفي الرغد من العيش، وسورة البقرة تنقل لنا التفضّل الإلهي على بني إسرائيل، قبل أن يصلوا إلى الطغيان فيُضيّق عليهم معاشهم، الأمر الذي نقلته لنا سورة الأعراف فقد نقلت لنا لحظة النهاية حيث غضب الله

---

92 – ابن عاشور ، التحرير والتنوير ، ج٢– ص: ٢٩٥

93 – سورة البقرة: ٥٨

94 – سورة الأعراف: ١٦١

عليهم وأخذ ينقص عليهم النعم وينزل بهم العقاب. وأخذ يقص علينا نبأهم من هذه الزاوية. " قال الشيخ أبو جعفر: (حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَداً)، وأسقط في الأعراف (رغدا)؛ لأن السكنى يفهم منها الملازمة والدوام، وعطفها على الأمر بالأكل من حيث شاء، وأشعر بدوام الأكل من غير مانع فتحصل فيه معنى الرغد، فأغنى عن ذكره هناك وقال هنا: ﴿نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ﴾"[٩٥].

والأمر اللافت للانتباه أن سورة البقرة ذكرت الرغد مع سكنى آدم في الجنة في قوله تعالى: ﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلاَ مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَـذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الْظَّالِمِينَ﴾[٩٦]، ولكن المعنى نفسه حين تقدمه لنا سورة الأعراف تغيب منه لفظة (رغدا) أيضا، قال تعالى: ﴿ وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكُلاَ مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَـذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾[٩٧]. وهو ما يوافق قصة بني إسرائيل في سورة البقرة وسورة الأعراف، ويلازم الفعل (أكل) وهذا الأمر متعلق بسياق سورة الأعراف فهو سياق تهديد وتقريع وتركيز على سلب النعم، ولا يناسبه ذكر التفضل بالنعم. فكلمة (رغدا) وردت في سورة البقرة مرتين في قصة آدم ودخول بني إسرائيل للقرية. وقد تكررت القصتان نفسهما في سورة الأعراف وغابت عنهما كلمة (رغدا)؛ وذلك كله رهن بالسياقين.

---

95 – الرازي مفاتيح الغيب، ج٢– ص: ٥. وانظر تفسير ابن عرفة: ج١– ص: ٢٩٦

96 – سورة البقرة : ٣٥

97 – سورة الأعراف: ١٩

١٠- ورد في سورة البقرة من الآيات موضع الدراسة قوله تعالى: ﴿ كُلُواْ وَاشْرَبُواْ مِن رِّزْقِ اللَّهِ وَلاَ تَعْثَوْاْ فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾[٩٨] أما في سورة الأعراف فلم ترد كلمة (واشربوا) من الآيات موضع الدراسة، قال تعالى: ﴿كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَـكِن كَانُواْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[٩٩] وعلة ذلك أن الماء في نهاية الأمر بات منبجسا وقليلا بينما كان سابقا متفجرا في بداية الأمر، وسورة البقرة إذ تنقل لنا البداية؛ أي تقصّ علينا القصة من زاوية بداية مراحلها وهي الإنعام والتفضّل،فهي تنقل لنا فضل الله في الإفاضة على بني إسرائيل بالماء من حجر، بينما تنقل لنا سورة الأعراف لحظة النهاية وهي اللحظة التي لم يعد فيها الله راضيا على بني إسرائيل؛ لذلك شحت عليهم المياه، فلم يرد الفعل (اشربوا). وذلك مناسبةً للسياق؛ لأنه تقدمها الفعل (فانبجست) الذي يشير إلى قلة الماء. وهذا الرأي ذهب إليه أحد العلماء إذ يقول: " لم يذكر الشرب (في الأعراف) فجاء باللفظ الذي يدل على الماء الأقلّ (انبجست)...(كلوا واشربوا) والشرب يحتاج إلى ماء أكثر لذا انفجرت الماء من الحجر في السياق الذي يتطلب الماء الكثير"[100]. وقيل إنه اكتفى بالتعبير بـ (اسكنوا) عن ذكره لأن الأكل المستمر من غير مزاحم لا يكون إلا رغدا واسعا. وإلى الأول ذهب صاحب اللباب، ويرد على القولين أنه

---

98 - - سورة البقرة: ٦٠

99 - سورة الأعراف: ١٦٠

100 - انظر بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، د. فاضل صالح السامرائي، ص: ١١٠

ذكر (رغدا) مع الأمر بالسكنى في قصة آدم عليه السلام[101]. وحقيقة الأمر أن فعل الأكل والشرب والتنعّم مرتبط بالرغد في العيش، فإذا انتفى الرغد فإن النعم تكون قد قُيّدت، وهذا ما تشير إليه سورة الأعراف فهي تسلط الضوء على لحظة العقاب والغضب أكثر من تسليط الضوء على النعم، فالسياقان مختلفان من زاوية الرؤية.

١١- ورد في سورة البقرة قوله تعالى﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُواْ هَـذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُواْ ﴾[102] بالفاء، بينما ورد في سورة الأعراف قوله: ﴿ وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُواْ هَـذِهِ الْقَرْيَةَ وكُلُوا ﴾[103] بالواو، وسورة البقرة تنقل لنا لحظة خوف بني إسرائيل من الدخول ورفضهم له، وعدم صبرهم على الطعام الواحد، وحاجتهم للتنويع، وهذه الآية تجعل الهدف من فعل الدخول هو الأكل بدليل الفاء لأن فيها الترتيب والتعقيب مع عدم المهلة، فهي تفيد المباشرة الفورية، وهي تدل على الترغيب والتشجيع في لحظة البداية في حين تدل الآية في سورة الأعراف على أن الهدف الأساسي من الأمر هو السكن، فإذا تم فالأكل موجود ويمكن لكم أن تأخذوا منه ما شئتم، فالفاء ربطت حاجة القوم لتنويع الطعام بالدخول السريع للقرية؛ فالدخول ما هو إلا وسيلة توصل للهدف وهو الأكل، أما الواو

---

101 – الألوسي – روح المعاني ج٩–ص٨٩

102 - سورة البقرة: ٥٨

103 – سورة الأعراف: ١٦١

فتوحي بأن السكن هو الهدف الرئيسي في حين أن الأكل مترتب عليه.

وتكاد تتشابه آراء العلماء في الفرق بين الفاء والواو في هذا الموضع، يقول أحدهم: "﴿وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا﴾ بالفاء، وفي الأعراف بالواو؛ لأن الدخول سريع الانقضاء فيتبعه الأكل، وفي الأعراف ﴿وإذا قيل لهم اسكنوا﴾ والمعنى: أقيموا فيها وذلك ممتد، فذكر بالواو أي: اجمعوا بين الأكل والسكن"[١٠٤]. وعطف هنا بالفاء لأن الأكل من الموضع (لا يكون) إلا بعد الدخول عليه، وعطف في الأعراف (بالواو) لأنّ السكنى قد تقارن الأكل، وقد يتأخر عنه، وقد يتقدم عليه، قال ابن عبد السلام: أو هما قصتان، أو يقال: لما فيهم التعقيب من الأول لم يحتج إلى إعادته في الثانية[١٠٥]. ومن جهة لغوية تعد الفاء تعليقا على شرط فالأكل مرتبط بالدخول، يقول الرازي: "في سورة البقرة بالواو وفي سورة الأعراف بالفاء فما الحكمة؟ والجواب: كل فعل عطف عليه شيء وكان الفعل بمنزلة الشرط، وذلك الشيء بمنزلة الجزء عطف الثاني على الأول بالفاء دون الواو ...فعطف كلوا على ادخلوا بالفاء لما كان وجود الأكل منها متعلقا بدخولها، فكأنه قال إن دخلتموها أكلتم منها، فالدخول موصل إلى الأكل، والأكل متعلق وجوده بوجوده يبين ذلك قوله تعالى في مثل هذه الآية من سورة الأعراف: فعطف كلوا على قوله اسكنوا بالواو دون الفاء؛ لأن اسكنوا

---

104 – الكرماني، أسرار التكرار في القرآن ج١– ص ١٧–٢٠

105 – تفسير ابن عرفة: ج١– ص: ٢٩٦

من السكنى وهي المقام مع طول اللبث، والأكل لا يختص وجوده بوجوده لأن من دخل بستانا قد يأكل منه وإن كان مجتازا فلما لم يتعلق الثاني بالأول تعلق الجزاء بالشرط وجب العطف بالواو دون الفاء"[١٠٦].

١٢- ورد في سورة البقرة قوله تعالى: ﴿وإذ قلنا﴾ بينما جاء في سورة الأعراف ﴿وإذ قيل﴾ والفرق بين الخطاب بالمعلوم والخطاب بالمجهول هو أن الثاني أي المجهول فيه تهوين وإعراض وتنكير، فهو ينقل لنا آخر مراحل تدرج الحدث أو (النهاية) وهي الغضب. وإذا كانت نظرة النحاة والبلاغيين قد اشتركت في تعيين أغراض عدم تسمية الفاعل، من العلم به، أو تعظيمه، أو صيانته عن الابتذال والامتهان، أو مناسبة الفواصل، أو مناسبة ما تقدم، أو كما ذكر السيوطي من أغراض للاختصار أو التنبيه علي أن الزمان يتقاصر علي الإتيان بالمحذوف، أو أن الاشتغال بذكره يفضي إلي تفويت المهم[١٠٧] . فإنه ينبغي النظر إلي الروح السارية أو الحياة النابضة الآخذة بلب السياق؛ لأن السياق قد يحمل أكثر من غرض لعدم تسمية الفاعل، أو يبرز غرضًا أساسيًا أو جوهريًّا حاملاً معه من الأغراض ما يتطلبه المعنى ويقتضيه المقام.

---

106 - الرازي ، مفاتيح الغيب: ج٢-ص:٥

١٠٧ - السيوطي - الإتقان في علوم القرآن — ج٣- ص:.١٧٠

يقول أبو السعود في استعمال الفعل (قيل) في سورة الأعراف فهو يفيد:" التهكم بهم، والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل للدلالة على تماديهم فيما هم فيه من الظلم والكفر، وإذ قيل لهم، منصوب بمضمر خوطب به النبي وإيراد الفعل على البناء مع استناده إليه تعالى، كما يفصح عنه ما وقع في سورة البقرة من قوله تعالى: (وإذ قلنا) للجري على سنن الكبرياء والإيذان بالغنى عن التصريح به لتعين الفاعل، وتغيير النظام بالأمر بالذكر للتشديد في التوبيخ، أي: اذكر لهم وقت قوله تعالى لأسلافهم اسكنوا هذه القرية١٠٨. ولعل السر في استعمال الفعل في صيغتي المعلوم والمجهول، لا تبتعد دلالته كثيرا إذا أخذنا بعين الاعتبار أن استعمل الفعل المعلوم في سياق الرضا، واستعمل المبني للمجهول في سياق عدم الرضا، أو استعمل الأول في سياق النعمة بينما استعمل الثاني في سياق العذاب، وفي هذا دلالة كافية على مقصد كل منهما، ففي سورة البقرة التي امتاز سياقها العام بذكر النعمة والتفضل ورد الخطاب بالفعل المبني للمعلوم المسند إلى الضمير (نا) الذي يشير للفاعلية، أما في سورة الأعراف التي امتاز سياقها بالزجر والتقريع وإظهار ما آلت إليه الأمم العاصية التي لحق بها غضب الله، فإن الفعل يرد ببناء للمجهول؛ كنوع من التهوين وانتقاص القيمة التي تشير إلى الغضب والاستياء.

---

108 - تفسير أبي السعود ج٣- ص٢٨٣ -٢٨٤

١٣- جاء في سورة البقرة قوله تعالى: ﴿ وإذ استسقى موسى لقومه﴾[١٠٩] بينما جاء في سورة الأعراف: ﴿ وأوحينا إلى موسى إذ استسقاه قومه﴾[١١٠]. ومن البديهي أن نعلم أن طالبَ السقيا في الأصل هم: بنو إسرائيل وهم الطالب الأول، في حين أن موسى عليه السلام هو الطالب الثاني، أو الذي رفع طلبهم إلى الله، وأن المطلوب الأول هو موسى، والمطلوب الثاني هو الله بواسطة موسى. لكن الله -وكنوع من تكريم نبيه- حين وصف لنا النعمة الكثيرة في بداية القصة اقتصر على الطالب الثاني (موسى) والمطلوب الثاني (الله). وهو حين وصف لنا القصة من آخرها وقد نقصت النعم ذكر لنا الطالب الأول (بنو إسرائيل) والمطلوب الأول (موسى) لأن هذه النعمة بحجمها القليل لا تناسب أن يكون الله مطلوبا ونبيه طالبا.

والفرق بين الصيغتين أن الأولى فيها قرب وفيها تجاوب سريع يدل عن شيء من الرضا والشفقة، ويناسب أن يكون المستسقي موسى -عليه السلام- حجم النعمة في بدايتها حيث كانت وافرةً، لذلك حين وصف الله النعمة في سورة الأعراف -وقد نقصت- لم يجعل موسى طالبا للسقيا بل جعل قومه طالبين؛ وكان موسى مطلوبا، وذلك تكريم من الله لنبيه، فلا يليق بمقام النبي أن يكون طالبا لشيء ثم يُعطى شيئا منقوصا، لكن حينما حدثتنا سورة البقرة عن النعمة في بداية الأمر حيث كانت وافرةُ ناسبَ ذلك التكريم أن يكون موسى طالبا وأن يكون الله هو

---

109 - سورة البقرة :٦٠

110 - سورة الأعراف: ١٦٠

المطلوب. وهذه إحدى دقائق السياق الخفية. وقد جعل فريق من العلماء الفرق بين النصين معلقا على هذا التفسير. إذ تنبهوا إلى أن سورة البقرة تذكر لنا خيرا كثيرا أنعم به الله على بني إسرائيل، في حين تذكر لنا سورة الأعراف خيرا يسيرا -مع أن القصة واحدة- وقد ربط بعض العلماء ذلك بأن الخير الكثير يناسب مقام نبي الله موسى فهو الطالب، أما في سورة الأعراف فهو مطلوب منه. ولم يتنبهوا إلى سبب جوهري، وسؤال منطقي هو: أي القصتين وقعت في الحقيقة؟ والحقيقة أنها قصة واحدة وليست قصتين؛ وكل ما في الأمر أن سورة البقرة نقلت لنا القصة بجانبها التكريمي قبل أن تفشل علاقة بني إسرائيل مع الله، وسورة الأعراف نقلت لنا القصة من حيث تطورها المتأخر وقد فشلت علاقة القوم بربهم وباؤوا بغضبه.أو بمعنى آخر نقول إن النعم التي حظي بها بنو إسرائيل في بداية الأمر كبيرة ووافرة مقابل أن يشكروا الله عليها ويطيعوا أوامره، وقد جاءت تلك النعم دفعةً واحدة، في حين أن العقاب أخذ ينزل بهم تدريجيا إثر كل معصية يرتكبوها، حتى ظلموا أنفسهم في نهاية الأمر وباؤوا بغضب الله كليا. ونجد من خلال قراءتنا لآيات سورة البقرة موضع الدراسة أن تلك الآيات تقص علينا الحادية من زاوية رؤيا فيها نعم كثيرة وليس فيها غضب تام على بني إسرائيل، أي أنها تنقل لنا الحدث بعدسة البداية حيث النعم كثيرة والعقاب قليل. أما آيات سورة الأعراف موضع الدراسة فهي تقص علينا الحدث نفسه من زاوية رؤيا مغايرة؛ مشربة بنفس النهاية التي وصلت الغضب وتقليل النعمة. وكأن القصة في كلا الموضعين تأتينا عبر حاليتين انفعاليتين: الأولى الرضا والإنعام، والثانية: الغضب

والتقليل، وهاتان الحالتان مستوحيتان من سياقي السورتين ومتسقتان كليا مع مضمون كل سورة على حده.

١٤- في سورة الأعراف وردت شبه الجملة (منهم) في قوله تعالى: ﴿ فبدّل الذين ظلموا منهم قولا'﴾[111]، بينما لم ترد في سورة البقرة ﴿ فبدّل الذين ظلموا قولا﴾[112]. وعلة ذلك أن آيات سورة الأعراف قد تقدمها قوله تعالى: ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾[113] وهذه الآية تستثني من بني إسرائيل نفرا لم يبدلوا القول ولم يظلموا، لذلك لم يلحق بهم العذاب، وإنما لحق بالأكثرية الظالمة، ولعل الأمة المستثناة من قوم موسى هم أبناء سبطين من الأسباط الاثني عشر؛ بدليل قوله تعالى في سورة المائدة -وهو يقص علينا نبأ دخولهم القرية-: ﴿و لَقَدْ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيباً﴾[114]. ويتبعها قوله تعالى: ﴿قَالَ رَجُلاَنِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُواْ عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللّهِ فَتَوَكَّلُواْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[115]. وهم يمثلون اثنين من مجموع الأسباط الاثني عشر وذراريهم. لذلك لزم في سورة الأعراف استعمال شبه الجملة (منهم) لأن العذاب لم ينزل على الكل وإنما نزل على الذين ظلموا منهم وبدلوا القول، وشبه الجملة هنا من لوازم السياق في سورة الأعراف؛

---

111 - سورة الأعراف: ١٦٢

112 - سورة البقرة: ٥٩

113 - سورة الأعراف: ١٥٩

114 - سورة المائدة : ١٢

115 - سورة المائدة : ٢٣

لما تقدم من خبر الأمة الصالحة. وغياب شبه الجملة عن آية البقـرة لا يفيد أن العذاب لحق بالجميع، بل يفيد أنه أصاب الظالمين، وقد يتبـادر للذهن سؤال : ما جدوى إضافة شبه الجملة (منهم) في آية الأعراف إن كان الكلام يدل على أن العذاب لحق بالظالمين فقط؟ والجواب هـو أن سورة الأعراف قدمت لنا استثناءً خاصا وهو: وجود أمة صالحة مـن بني إسرائيل –رغم قلة عددهم– وهذا الاستثناء المتقدم لزمه استثناء ثانٍ عند وصف العذاب؛ لكي لا يظن ظان أن العذاب أصاب الجميع.

وفي هذا الجانب أورد بعض العلماء أقوالا ومن ذلك: " أخرج ابـن أبي حاتم عن صفوان بن عمرو قال: هم الذين قال الله ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق يعني سبطان من أسباط بني إسرائيل يـوم الملحمـة العظمى ينصرون"[١١٦]. لذلك " خص الذين بدلوا القول وهـم: العشـرة الذين أشاعوا مذمة الأرض لأنهم كانوا السبب في شقاء أمة كاملة. وفي هذا موعظة وذكرى لكل من ينصب نفسه لإرشاد قـوم ليكـون علـى بصيرة بما يأتي"[١١٧]. والمعنى المراد أن استعمال شبه الجملة (مـنهم) يدل على بقاء أمة قليلة من قوم موسى على الحق في نهاية الأمر، أمـا الأكثرية فقد ظلمت وطغت لذلك لحق بها غضب الله.

---

116 – البقاعي ، نظم الدرر: ج٣–ص٦٨٦

117 – ابن عاشور – التحرير والتنوير ج٢– ص: ٢٩٦

إن سورة البقرة نقلت لنا الأحدث حيث اكتملت ولم تكن علاقة بني إسرائيل بربهم قد بلغت حدا بعيدا من الانفصال، بل كان ما أتوا به وقتها يعد فسوقا أو خروجا أوليا عن الطاعة. بينما أخبرتنا سورة الأعراف بالصورة نفسها من حيث نهاية علاقة بني إسرائيل بربهم حين بلغوا حد الظلم في اجترائهم المستمر على حدود الله، ونقلت لنا السورة لحظة الغضب الرباني عليهم. وقد يتبادر إلى الذهن سؤال هام هو: لماذا اختصت سورة الأعراف بنقل القصة من حيث انتهت أو من زاوية آخر مرحلة من مراحل التدرج في علاقة بني إسرائيل بربهم – مع أن هذه السورة سابقة في نزولها على سورة البقرة، في حين أن سورة البقرة –وهي متأخرة زمنيا عن الأعراف– تنقل لنا الأحداث من بدايتها أو من أول مرحلة من مراحل التدرج لعلاقة بني إسرائيل بربهم وهي مرحلة النعمة؟ فهل هذا من قبيل المفارقة؟ وعلة هذا حسب تقديري أن آيات سورة البقرة موضوع الدراسة نقلت لنا جو النعمة الذي كان في بداية أحداث القصة لتذكير بني إسرائيل بنعم الله عليهم، فبنو إسرائيل كانوا جزءا من المجتمع المدني وسورة البقرة مدينة وتسليط الضوء على النعم أمر دعوي في الدرجة الأولى، لعل قلوبهم تلين وتستذكر نعمة الله عليهم. أما سورة الأعراف المكية فإن مما يناسب سياقها أن تركز على الترهيب أكثر من تركيزها على الترغيب وهذا أيضا لغرض دعوي يتعلق بالمجتمع المكي الذي أنكر رسالة محمد، لذلك من الطبيعي تذكيرهم بمصير الأمم المكذبة والعاصية والمشككة وبيان أنواع العقوبات التي لحقت بهم في الدنيا، ومنها أمة اليهود التي ظل العقاب الرباني يلاحقها إثر كل معصية ترتكبها، حيث أنزل عليهم رجزا من السماء، وحيث أخذتهم الصاعقة فماتوا كلهم، وحيث قدر عليهم رزقهم ، ثم في نهاية الأمر ضربت عليهم الذلة والمسكنة وباؤوا بغضب من الله.

خـــــاتمة

الحمد لله في الأولى والآخرة والصلاة والسلام على رسوله أشرف الخلق أجمعين. مما تقدم ندرك أن التكرار الذي وقع في الموضعين السابقتين من سورة البقرة وسورة الأعراف ليس إلا غنى دلالي كبير؛ حيث نُقل لنا الحدث الماضي من زاويتين مختلفتين، أو صُوّر الحدث بعدستين: عدسة تسلط الضوء على بداية القصة، وأخرى تسلط الضوء على نهايتها، وما بين هذه وتلك نلم بجوانب دلالية كثيرة وحقائق معرفية وتاريخية متنوعة.

والناظر إلى ما وقع من فروق كثيرة بين الموضعين ليقع في حيرة شديدة إذا علم أن كلا الموضعين يصفان الأحداث نفسها، وأن بعض التبريرات التي أفاض بها العلماء الأجلاء لا تقدم تفسيرا شافيا لحقيقة الاختلاف، فهناك حقيقة جوهرية كامنة في سياق كل سورة على حده، هذه الحقيقة تمثلت في أن سورة البقرة صورت لنا الحدث من زاوية رؤية النعمة التي تمثل أول مراحل علاقة بني إسرائيل بربهم، وظلت تسرد لنا الأحداث وهي تركز على الأمر في بادئه إذ كانت النعمة كبيرةً؛ لأن ذلك الحدث يتناسب مع سياق السورة المفعم بالنعمة والتكريم، كما أن ذلك أمر يخص مجتمع المدينة الذي ضم في ثناياه اليهود، إذ لزم تذكيرهم بنعم الله عليهم. في حين أن سورة الأعراف صورت لنا الحدث من حيث نهايته (الغضب والعقوبة) لأن ذلك يتناسب مع سياق السورة المشحون بالوعيد وقصص العقوبات التي نزلت بالأقوام المكذبين، لأن هذا يتناسب مع المجتمع المكي المكذب برسالة

محمد. فالسياق الأول يمثل الرحمة، في حين أن السياق الثاني يمثل العذاب. وقد تماهت اللغة القرآنية المعجزة مع السياقين تماهيا عجيبا، ومن هنا برزت لنا أوجه اختلاف لغوية واختلاف في التقديم والتأخير والحذف والذكر وغيرها.

ويمكن القول إن النتائج التي خلص إليها البحث تتلخص في ثلاث نقاط مهمة. الأولى منها: تتعلق بسياق السورتين موضوع الدراسة فهما يقدمان لنا تصورا كاملا عن السورتين الأمر الذي يتيح لنا تعليل كثير من الفروق التي وقعت بينهما. وقد حاولت الدراسة الإلمام بسياق السورتين وبناءً على اجتهد صاحب الدراسة في فهمه للسياقين فقد بنى النتائج عليهما. ومن خلال فهمنا للسياق نستطيع الإجابة عن السؤال الذي تكرر في الدراسة: أي القصتين حدثت ولماذا؟ والجواب هو أن كلا القصتين وقعتا فعلا، فالقصة الأولى هي قصة ما قبل العقاب أما الثانية فهي قصة ما بعد العقاب. ومن المناسب لسياق سورة البقرة المفعم بالنعم تذكير اليهود والمسلمين عامة بنعمة الله على خلقه وحجم تلك النعمة، وليس هذا متعلق بقصة بني إسرائيل وحدها بل وبغيرها مثل قصة آدم حيث صاحبها كلمة (رغدا) في سورة البقرة. ومن المناسب أيضا لسياق سورة الأعراف المفعم بالعقاب والانتقام أن يتم تسليط الضوء على سلب النعم عقوبة للأقوام المكذبين والجاحدين لأنعم الله، ومن هنا غاب وصف العيش بالرغد في قصة بني إسرائيل، لأنه في حقيقة الأمر انتهى بهم المطاف إلى عيش قائم على الكفاف وليس فيه رغد وهذا عقوبة من الله. أما في قصة آدم فقد غابت أيضا كلمة

(رغدا) ولذلك لسبب وحيد هو أن سياق سورة الأعراف يركز على سلب النعم والانتقام ومن غير المناسب له أن يطيل في وصف النعم.

أما ثاني هذه النقاط المهمة فتكمن في تفسير لماذا اختلفت ترتيب الأحداث بين الموضعين من السورتين، ولماذا جاءت صيغة الخطاب في آيات سورة البقرة بصيغة المخاطبين، بينما جاءت في آيات سورة الأعراف بصيغة الغائب. وقد بينت الدراسة سبب هذا الاختلاف والذي يتمثل في التزام سورة الأعراف ككل بمنهج السرد التاريخي المحكم، وعدم التزام سورة البقرة بهذا لأن سورة البقرة تعالج قضايا عديدة تربوية وتشريعية واجتماعية ودعوية ولا يلائمها السرد التاريخي لسببين أولهما: أن أكثر موضوعاتها ومضامينها ليست قصصا، حيث لم تغرق في الحديث عن الماضي، بل خصت الواقع والمستقبل بكثير من آياتها، فموضوعاتها متنوعة وكثيرة وأهدافها كذلك، وقد اتخذت الترغيب منهجا في الدعوة إلى الدين. أما سورة الأعراف فيلائمها منهج السرد التاريخ لأن موضوعاتها محصورة وأكثرها جاء قصصا يقصد منها الزجر والتخويف أو اتخاذ أسلوب الترهيب في الدعوة.

أما النقطة الثالثة المهمة التي وقفت عليها هذه الدراسة فتكمن في تفسير الفروق اللغوية بين الآيات في الموضعين من السورتين، وأكثر الفروق اللغوية – على تنوعها – كان مبعثه اختلاف رؤية زاوية الحدث بين السورتين؛ فسورة البقرة تقص علينا الحدث من أوله لآخره –على اختلاف ترتيبه– وهي تسلط لنا الضوء على لحظة البداية حيث كانت النعم كثيرة والعقوبات قليلة ومتدرجة إذ لزم معها أن تكون الحياة رغدا ومعها يحسن القول (كلوا واشربوا) ومعها يحسن حط الذنوب الكثيرة،

وفي الجهة الأخرى أن تكون معاصي القوم فسوقا لم يبلغ الظلم وعليه فإن العقاب ينزل عليهم تدريجا ولا يكون قد اكتمل وتم وبلغ درجة الإرسال الذي يُستكمل دفعةً واحدة. أما سورة الأعراف فقد اختلفت فيها زاوية رؤية سرد الأحداث؛ فهي تقص الأحداث وفق تسلسل مركزةً على العقوبات أكثر من تركيزها على النعم، وقد كان من عقوبات القوم أن قدر الله عليهم رزقهم تدريجيا حتى أصبح العيش معه لا يُصف بأنه رغد ولا يحسن مع قلة الماء المنبجس أن يُقال (كلوا واشربوا) ولأن معاصي القوم كثرت في نهاية المطاف حيث بلغت درجة الظلم فلا يحسن معها أن يحط عنهم الخطايا الكثيرة بل (الخطيئات) القليلة.

إن اختلاف زاوية نقل الحدث بين السورتين له ارتباط وثيق بسياق السورتين كما تقدم تبيان ذلك. واختلاف زاوية نقل الحدث تظهر لنا حالتين انفعاليتين – إن جاز التعبير– الأولى وهي حالة الرضا والإنعام وهي الحالة المتقدمة، والثانية حالة الغضب والانتقام وهي الحالة المتأخرة، ولكن المفارقة التي وقعت هنا تكمن في أن تنقل لنا سورة البقرة –وهي المتأخرة زمنيا عن سورة الأعراف– الحالة الأولى، في حين تنقل لنا سورة الأعراف المتقدمة زمنيا الحالة الثانية. وذلك لعلل سياقية تم تفصيلها في متن الدراسة والله أعلم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربه العالمين

د. فايز مدالله الذنيبات

fthunibat@yahoo.com

ثبت بالمصادر والمراجع:

١- القرآن الكريم

٢- ابن أبي حاتم الرازي تفسير ابن أبى حاتم، تحقيق: أسعد محمد الطيب، المكتبة العصرية، صيدا. (د ط) (دت).

٣- ابن جزي الكلبي - التسهيل في علوم التنزيل، مكتبة مشكاة الإسلام، (دم) (د ط) - ١٩٩١.

٤- ابن جني، أبو الفتح، الخصائص، حققه محمد النجار، دار الهدى، بيروت، ط2(دت).

٥- ابن زمنين، محمد بن عبد الله، تفسير القرآن العزيز، تحقيق أبو عبد الله حسين ابن عكاشة - محمد بن مصطفى الكنز، الناشر الفاروق الحديثة، القاهرة، (د ط) ٢٠٠٢.

٦- ابن عاشور - تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس(د ط)، ١٩٨٤.

٧- ابن عرفة، أبو عبد الله محمد بن محمد الورغمي، تفسير ابن عرفة المالكي، د.حسن المناعي، مركز البحوث بكلية الزيتونية - تونس (د ط) - ١٩٨٦.

٨- ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن ، تحقيق السيد أحمد صقر، ط٢، دار التراث، القاهرة ١٣٩٣هـ .

٩- ابن كثير القرشي الدمشقي، تفسير القرآن العظيم،تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٩٩٩.

١٠- ابن المنذر النيسابوري، تفسير القرآن ، ، تحيق سعد السعد ، دار المآثر ، المدينة المنورة، السعودية ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م .

١١- ابن منظور، جمال الدين، لسان العرب، دار صادر، بيروت(د ط) 1965.

١٢- أبو السعود، محمد بن محمد العمادي، تفسير أبي السعود، دار إحياء التراث العربي، بيروت. (د ط) (دت)

١٣- الأصفهاني، الراغب، مفردات ألفاظ القرآن ، تحقيق صفوان داودي، دار القلم بدمشق ١٤١٨هـ

١٤- الألوسي، شهاب الدين، روح المعاني، دار إحياء التراث العربي. ط٢(دت)

١٥- البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود (١٤٠٩هـ). معالم التنزيل (تفسير البغوي).تحقيق: محمد عبد السلام شاهين، دار طيبة للنشر والتوزيع الرياض.ط٢ (دت)

١٦- البقاعي، برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، تحقيق : عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية - بيروت - ط٢ ١٤١٥-١٩٩٥.

١٧- البيضاوي، تفسير البيضاوي.تحقيق أحمد الخيري- دار الفكر - بيروت. ط١. (دت)

١٨- الثعالبي، عبد الرحمن، تفسير الثعالبي الموسوم بجواهر الحسان، تحقيق الدكتور عبد الفتاح أبو سنة والشيخ علي محمد معوض والشيخ

عادل أحمد عبد الموجود. دار إحياء التراث العربي. ط١. ١٤١٨هـ

١٩- الثوري، أبو سفيان، -تفسير سفيان الثوري ، رواية أبي حذيفة النهدي ، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ،١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.

٢٠- الخازن. الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي. تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل. دار الفكر - بيروت / لبنان(دط) 1399- هـ /١٩٧٩ م

٢١- الرازي، فخر الدين، مفاتيح الغيب، تحقيق دار إحياء التراث العربي،، دار إحياء التراث العربي ــ بيروت.ط٢. ١٤١٧ هـ ــ ١٩٩٧ م

٢٢- الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن الكريم، دار القلم ،دمشق، ، والدار الشامية،بيروت، لبنان.١٤١٨(دط)هـ١٩٩٧م

٢٣- الرماني، النكت في إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن الكريم، تحقيق: محمد خلف الله أحمد ، وزغلول سلام، دار المعارف بمصر، ١٩٦٨.

٢٤- الزمخشري، الكشاف، ، تحقيق: عبد الرزاق المهدي،ضبط: محمد عبدالسلام شاهين دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٩٩٨

٢٥- السامرائي، فاضل، أسرار البيان في التعبير القرآني، مطابع جامعة الموصل، (د ط) ١٩٨٩.

٢٦- السامرائي فاضل، بلاغة الكلمة في التعبير القرآني .شركة العاتك للنشر، القاهرة، ط٢، ٢٠٠٦ .

٢٧- سيد قطب (ت ١٣٨٧هـ): في ظلال القرآن ، دار إحياء التراث العربي ، ط٧ ، ١٩٧١م

٢٨- السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق: فواز زمرلي، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع، ط١. (دت)

٢٩- السيوطي، جلال الدين، الدر المنثور في التفسير بالمأثور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة الأولى ،١٤١١هـ-١٩٩٠م.

٣٠- السكاكي، محمد، مفتاح العلوم، ضبط وتعليق نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2. 1987

٣١- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية، دار الفكر – بيروت. (د ط) (دت)

٣٢- الصنعاني، عبد الرزاق بن همام ، -تفسير عبد الرزاق ، تحقيق مصطفى مسلم محمد ، مكتبة الرشد، الرياض ، السعودية ، الطبعة الأولى ، ١٤١٠هـ-١٩٨٩م.

٣٣- الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان في تأويل القرآن(تفسير الطبري) تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ٢٠٠٠.

٣٤- العسكري، أبو هلال، معجم الفروق اللغوية، الحاوي لكتاب أبي هلال العسكري وجزءا من كتاب السيد نور الدين الجزائري. (د ط) (دت)

٣٥- العكبري،التبيان في إعراب القرآن تحقيق علي محمد البجاوي، عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٧٦م .

٣٦- الفراء، معاني القرآن، تحقيق محمد علي النجار ونجاتي وشلبي، تصوير عالم الكتب، بيروت ١٤٠٣هـ .

٣٧- القرطبي،الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٨هـ .

٣٨- الكرماني، محمود بن حمزة، أسرار التكرار في القرآن المسمى البرهان في توجيه متشابه القرآن، تحقيق : عبد القادر احمد عطا، دار الفضيلة. (د ط) (دت)

٣٩- مجاهد، أبو الحجاج بن جبر التابعي المكي المخزومي ت/١٠٤هـ تفسير مجاهد، تحقيق عبد الرحمن الطاهر بن محمد السورتي / مجمع البحوث الإسلامية إسلام آباد.(دط) (دت)

٤٠- مقاتل بن سليمان، تفسير مقاتل، تحقيق: أحمد فريد، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ٢٠٠٣.

٤١- مكي بن أبي طالب القيسي، الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، ، تحقيق الدكتور محيي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٤هـ .

٤٢- المودودي، أبو الأعلى، تفهيم القرآن ، إدارة ترجمان القرآن، لاهور، ط١٥، ١٩٩٤م .

٤٣- النسائي، تفسير النسائي ، تحقيق عبدالخالق وسعيد بن عباس ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت ، لبنان ، الطبعة ، الأولى ، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

٤٤- النسفي، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود، تفسير النسفي. تحقيق الشيخ : مروان محمد الشعار، دار النفائس ــ بيروت، (دط) ٢٠٠٥

٤٥- الواحدي، أسباب نزول الآيات: (ت٤٦٨هـ)، ، نشر مؤسسة الحلبي وشركاؤه ـ القاهرة طبعة ١٣٨٨هـ

٤٦- الواحدي، الوسيط في تفسير القرآن المجيد ، تحقيق عادل عبد الموجود وآخرين ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ، ١٤١٥هـ- ١٩٩٤م .

٤٧- الوراقي، عبدالله عبدالحميد، إغاثة اللهفان في ضبط متشابهات القرآن،دار القمة، دار الإيمان، الاسكندرية، ط١، ٢٠٠٩